ترنيم الزيتون

الكاتبة

سهير قنصوة

اسم الكتاب : ترنيم الزيتون

اسم الكاتبة : سهبر قنصوة

تصميم الغلاف : مي مجدي

تدقيق لغوي وتنسيق : نورهان هاني

رقم الإيداع : ٢٠٢٤/٣٢٩٥٠م

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٨٧٩١-٦٦-٢

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

ترنيم الزيتون

إهـداء

إلى المرابطين وتيجان رؤوســـنا فى غزة العزة .. تدثرنا بطوفانكم وارتفعت هاماتنا به شموخا وفخرا ، ونحن نرى الدنيا كلها بعده غيرها قبله ببطولاتكم وصمودكم.

قلوبنا معكم يعتصرها الألم لما تواجهون .. فليغفر الله تقصيرنا وسامحونا فمحنتكم محنتنا وألمكم ألمنا . ونحن نتضرع إلى الله أن تضــع الحرب أوزارها ويعود الحق لأصــحابه ويقينا سـوف يحدث بإذن الله.

وسنعود ونتلقى هداياكم من الزيتون وزيت الزيتون.

(لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) صدق الله العظيم

سهير قنصوة

الزيتون ترنيم

القاهرة

٢٠٢٥

مقدمة

غزة

روح الروح

اخلع نعليك فانت فى الارض المباركة وبين المرابطين الماسكين على الجمر لتحيا قلوبنا وتتكحل عيوننا بتحرير أقصانا ومسرى رسولنا صلى الله عليه وسلم .. أنت فى غزة روح الروح هواؤها من نسمات انفاس المجاهدين الطاهرة.. وأديم أرضها هذا من رفات شهدائها .. هذه الارض لن تكون يوما للأمة الملعونة التى تسعى دائما وابدا فى خراب الارض .. شائهى النفوس قساة القلوب وسارقى الاوطان وقد لفظتهم ولازالت على عهدها معنا تتمسك بنا كما نتمسك بها وتتوق ارواحنا لعناقها .. وتهفو نفوسنا دائما لخطوة على ارضها المحررة من وجود الاسافل الذين مارأت منهم ارض الله وخلق الله الا خرابا يوجد اينما وجدوا .. لفظتهم ارض الله فى شتى بقاع الدنيا ولم يتحمل انفاسهم الثقيلة فيها احد.. فطردوا من كل ارض نزلوا بها بعارهم وفساد نفوسهم التى لاتهوى الا كل ماهو شر مستطير .. طردوا ومعهم ادعاءاتهم

وخرافاتهم وتراهات يدورون بها لم تنطوى على احد ليبتلينا الله بهم وهم يدعون القوة وهم من وقفوا يوما أمام ابوابنا جبنا وذلا وخوفا ترتعد مفاصلهم من مواجهة اسودنا .. فهل تبدل شيئ ؟ لا والله فأساس الامر كما هو ولكنه كان قرارا اتخذه سكان الارض أجمعين وهو التخلص من هذا الرجس والنجس وابعاده عن حياتهم فدبروا الامر بليل وأحاطوهم بقوة توهموها هم وصدقوها وعاشوا فيها معتقدين ان الزمن تبدل وان الدنيا قد دانت لهم لهم بعد ذل وعبودية ماتركتهم يوما ، وتناسوا ان الاسد إذا مرض او تعرض لمحنة فهذا لايعنى موته ولاحتى ضعفه امام فأر اجرب يرتعش من ذكر اسمه ويختبئ داخل الجدر واطنان الحديد وتميته رعبا وهلعا فكرة أن ينظر فقط ناحيته.

تاريخهم واحد قديمه كحديثه ووسطه كطرفيه سلسلة لاتنتهى من نشر الخراب على وجه الارض.

ترنيم الزيتون

عاد أبى اليوم من عمله متأخرا خلافا لعادته ، وخلافا لعادته أيضـا وجدناه متهللا فرحا وطلب أن نجتمع بعد الغداء فلديه ماسيخبرنا به .. كانت أمى قد انتهت من إعداد المقلوبة فجلسنا للغداء وحاولنا استنطاق أبى ولكنه رفض قائلا :

قلت بعد الغداء نظرت لاخوتى عبدالله وياســين وخديجة واتفقنا بالإشارة أن ننتهى سريعا من الغداء وقد كان .

وقمت لإعداد القهوة التى يحبها أبى بعد الغداء مباشرة فبدأ حديثه ونحن نحتسيها قائلا : لقد تحدث معى عمكم غيث اليوم فى أمر هام من شــأنه أن يزيد ارتباط عائلتينا ببعض وأن يدخل الفرح بيوتنا وقلوبنا التى نسيت طعمه . تسارعت دقات قلبى واضـطرب نبضــى فهل يكون ما أفكر فيه وأتمناه؟ هل قلت فرحا ياأبى !! انتظرى ياترنيم قلت لنفســى ســأحاول الهدوء حتى لاينكشــف أمرى فقد تحول نظر والدى نحوى وهو يقول لقد طلب عمكم ترنيم للزواج من ابنه مازن ، حين قالها والدى لم أدر ماحدث لى ..وكأننى لم أعد أجلس معهم وتنازعتنى الأفكار والأمنيات وأنا أحدث نفســى يااااه أخيرا

فعلتها يامازن!! أحببتك منذ أن وعيت على الدنيا ولم أر غيرك وتمنيت هذا اليوم وها أنا ذا يكاد قلبى ان يخرج من صـــدرى .. أفقت على نظرات الجميع نحوى مابين مندهش وســعيد وتعجبت فأنا لم أنطق بكلمة ولكن يبدو أن قراءة ما بداخلى كانت من الســهولة بمكان ليلحظه الجميع ، قطع ذلك ســؤال ابى لى : ما رايك ياترنيم ؟ لم أجب فضــحكت أمى وقالت : لقد أجابت ترنيم ياحجى فلا تخجلها فقال : لا بل أسمع منها فأجبته : ماتراه ياأبى أوافق عليه فقال ضـاحكا بل أسمعها صـريحة فقلت : هو ابن عمى ونعرفه جيدا وأحواله ميسرة والحمد لله وأنا أوافق ياأبى ولكن لى طلب فقال أسمع ونحققه إن شـاءالله فقلت أنا ولدت وعشـت حياتى كلها بحى الزيتون وأتمنى ألا أفارقه جلس أبى يفكر فنحن نعلم أن عمى كأبى وكأغلب الفلسطينيين يبنون لأولادهم الذكور عند الزواج ويســكنونهم معهم فقال : ولكن يابنتى حى الزيتون وحى الدرج متجاوران وكانا فيما مضـى حى واحد قبل شـق شـارع جمال باشــا عمر المختار حاليا بل أن أحياء البلدة القديمة الاربعة كان يحيطهم ســور ويغلق عليهم باب واحد قاطعته هامســة : أعلم كل ذلك ولكن لأجل خاطرى ياأبى أريد دارا مستقلة ولو شقة صغيرة بحى الزيتون ،، روحى هنا يا ابى !!

سمع ابى وسكت فاكملت ولكن طبعا انا لن أطلب ما هو فوق الاحتمال فإن كان فى ذلك عناء وأعباء لاتسمح بها الظروف فانا أوافق على السكن فى دار عمى بحى الدرج وساتنازل عن حلمى بعدم مفارقة حى الزيتون.

استأذنت ودخلت حجرتى والدنيا لاتسعنى وأنا أغنى أمل حياتى ياحب غالى . دخلت خديجة فنحن نتشارك الغرفة واحتضنتنى والفرحة تملأ عينيها وقلبها فهى الوحيدة التى تعلم مابقلبى نحو مازن وتلاحظ أنه يبادلنى نفس الشعور وإن لم يبح اى منا للآخر بما فى قلبه واكتفينا بحديث العيون .. سالتنى خديجة فجاة : أحقا لم يخبرك مازن بأمر الخطبة؟ نظرت إليها وقلت وهل كان سيفعل ولا أخبرك أم أنك تشكين فى صدقى ؟ اتركينى لفرحة قلبى بمفاجأة العمر العقبى لك ياخديجة . تنهدت خديجة قائلة : الحمد لله ظروف مازن تسمح له بالزواج اما صالح فتعلمين تعسر أموره المادية .. آه لو كان زواج البركة موجود الآن .. قاطعتها وهل كان أبى ليقبل اتركى الأمر للأيام وسيتدبر أموره إن شاء الله ويتقدم فى الوقت المناسب فأنت مازلت صغيرة وتعلمين أن أبى لايقبل بالزواج إلا بعد الانتهاء من التعليم.

أتفق أبى وعمى على زيارتنا يوم السـبت لقراءة الفاتحة وإعلان الصمدة.

دخلت الفرحة بيتنا وبيت عمى بعد ماعانيناه جميعا ونعانيه من حصـار العدو الخانق لنا فى غزة ،، وجلسـنا أنا وأمى وأختى لنتدبر تجهيزات هذا اليوم من إعداد قائمة الطعام وشراء جلباب فلسطينى لكل منا ، فقالت أمى أنها رتبت أمر قائمة الطعام وسيكون على المائدة المسخن والسماقية والقدرة الخليلية والمقدونس والملفوف، أعجبتنا القائمة وأضـفت إليها الكنافة النابلسـية التى اجيدها تماما ،، أعطى أبى لأمى مبلغا كبيرا من الشـيكلات وقال انتقى الأجمل حتى لو كان الأغلى فهى أول عروس فى دارنا ، اتفقنا على نبدأ بأسـواق الدرج لتنوعها وتوجهنا لسوق القيسـارية للمشـغولات الذهبية وكنت قد أحضـرت قرطى لإصـلاح قفله وكان بجواره محل يبيع الاوانى النحاسـية ففوجئنا بأمى تقف امام المحل ولاتتحرك وكنا قد سـبقناها بخطوات على أنها معنا ثم اسـتدرنا ونحن

نضـــحك حين وجدناها على هذه الحال مابك ياأمى وماحالك تلك !؟

فقالت وهى تنظر للأواني بشغف : أتمنى ياابنتى أن يكون ضـــمن أوانى زواجك اثنين أو أكثر من هذه الأوانى فقلت ياأمى لم يعد أحد يستعملها إلا دور قليلة ، فزماننا مختلف عن زمانكم والبدائل كثيرة الآن ، فقالت ولكن الطهى فى النحاس يجعل الطعام أشـهى وأصـح ، مضـينا نتجول واسـتأنفت امى الحكى عن الاوانى النحاسية وكيف كان وجودها أساسى فى مطبخ كل دار .. ولكن مع هذا الارتفاع الشـديد فى الأسـعار أصـبحت كل أسـرة تكتفى بوعاء واحد تصـنع فيه الوجبة بالكامل ومن هنا بدات أفكار لطعام يطهى بإناء واحد فكانت المقلوبة والمذسف والمسخن وغيرها والتى يتم طهيها بوضع كل المكونات معا فى نفس الإناء ،، ثم نظرت بجدية قائلة : إعلمى ياترنيم أنك من الآن وحتى يوم زواجك سيكون مطبخ الدار وإعداد الطعام تحت مسئوليتك بالكامل ، أريدك ياابنتى أن تكونى زوجة ماهرة كأمك وجدتك ، وافقتها وأنا أضـحك فأنا ماهرة من الآن بالفعل وقلت لها لا تنســى الخليلية فى القائمة فاجابت : إلا الخليلية فلنا معها تاريخ كان جدك يعشقها

بالارز واللحم والحمص مع شــرائح الثوم وبهارات القدرة الخليلية.

وصـلنا إلى شـارع الفواخير فاشـتريت اثنتين من الزبدية الفخارية لعمل السلطة بالفلفل التى يحبها مازن.

ثم عدنا إلى الزيتون فتوجهنا لســـوق فراس حيث قمنا بشــراء اللحوم والخضــروات ومايلزم لقائمة الطعام .. وفى آخر الجولة اشترينا الجلابيب لثلاثتنا ولكن جلبابى كان مميزا بالطبع فأنا العروس علاوة على أننى اشــتريت جلبابا آخر لأستقبل به الضيوف فى بيتى للتهنئة بعد الزواج كما اوصانا ابى.

فى اليوم الموعود قمنا بترتيب البيت وإخراج ما تحفظه امى من أطباق مميزة ورثتها عن جدتى وكئوس ودورق تزينها جميعا الرســوم قديمة الطراز ولكنها جميلة ومناســبة للمناسبات السعيدة وبعد الانتهاء من كل مايلزم الدار والطعام ، قمت بفرحة لجلبابى الذى طالما حلمت بارتداؤه وكان

جميلا ومطرزا بالخيوط الملونة والخرز وبعض قطع الحلى وقمت بارتداؤه وانا ادور فى الحجرة كالفراشات.

فى المساء حضر جاهة العريس والتى اقتصرت على عمى وزوجته الخالة فريحة واولادهما مازن وعزام وبنات عمى اشجان وأبية وخيرات وترف ،، ضجت دارنا بسعادة كنا نشتاق إليها فالفرح فى غزة لايزورنا كثيرا ،، وغنت ابنة عمى ترف بصوتها الذى يشبه صوت اسمهان بعض أغانى الفرح من تراثنا الفسطينى والغزاوى .وبعد العشاء والغناء جلس أبى وعمى خارج الدار على المصطبة المجاورة للمدخل يشربان النارجيلة وقد وافق عمى على طلبى بألا أغادر الزيتون وهو يتمنى لنا السعادة وأخبر أبى أن لديه صديق يمتلك دارا من عدة طوابق فى شارع الدهشان القريب من دارنا فى شارع القنطرة وانه سيتحدث معه بشأن استئجار شقة لزواجنا واضاف : أفعل ذلك واكثر لتسعد ابنتنا ترنيم وإذا أرادت أن تكون معنا فى اى وقت فالدار دارها . امتدت السهرة حتى الثانية صباحا سعدنا بها جميعا حتى استاذن عمى وعائلته فى الانصراف وفى الواقع أننا

جميعا سعدنا وكنا لا نريد لهذه الليلة أن تنتهى فسلمنا عليهم وانصرفوا.

كنا فى اوائل شهر اغسطس / وحدث ان اتفق عمى فى صباح اليوم التالى مع صديقه صاحب الدار على استئجار الشقة وطلب من مازن انهاء إستخراج الاوراق والتصاريح اللازمة على أن ينتهى من ذلك على أقصى تقدير فى أواخر سبتمبر / ايلول فالشقة جاهزة على السكن ينقصها فقط انهاؤه لاجراءات الإيجار المعقدة لدى سلطة الاحتلال.

انشغل مازن بهذا الامر فى حين تحول دارنا لخلية نحل مابين الانتهاء من تجهيز مايلزمنى للزواج وبين زيارات عائلة مازن وفقا لطقوسنا فى الزواج والتى لانتخلى عنها ابدا فقالت خديجة : ياترنيم اى طقوس فلا فرق بين ابى وعمى ويكفى انك ستتزوجى من احببت فوقفت وقلت وانا ارفع وجهى وامشى بخيلاء : أنا لن أرضى إلا بالأجمل فى كل شيئ فانا سأكون زوجة مازن أبو غيث .. اريد ياخديجة ان أفرح كثيرا وأن يملأ الفرح دارنا سأفرح يوم التقبيضة لاتسلم مهرى العاجل وأفرح بالكسوة التى سيشتريها لى مازن

بالملابس والحلى والاحزمة واغطية الرأس سافرح ياختى بكل شيئ فحضنتنى خديجة وهى تقول : وسأفرح معك وبك ياأختى وستسعدين بزواجك ان شاءالله .. بعد صمت قليل وقفت وأنا اقول : سانتظر موكب الكسوة تحمله النساء على اطباق القش المزينة بالورد ثم قلت وأنا امسك يديها و ادور فى الغرفة : سنفرح ياأختى سبع ليالى متواصلين قبل يوم الزفاف سنفرح بالشباب يرقصون الدبكة والشيوخ وهم يرقصون ويلقون قصائد الشعر مع تصفيق الشباب .. وفى الترويدة لن انسى التمسك بك ياأختى الوحيدة.

آه ياخديجة كم اتمنى أن تمر الأيام سريعا وأرى هذه الأحلام تتحقق أمامى.

اجتمعنا فى دارنا فى حضور أسرة عمى بمناسبة انتهاء مازن مما كلف به بعد معاناة شديدة من تعنت إدارة الاحتلال نظرا لاشتباههم أن مازن يتعاون مع إحدى فصائل المقاومة وتم حل الموضوع بعد توسط أحد موظفى الادارة الذى شهد بان مازن بعيد عن تلك الامور وانه يعمل بالتجارة وأنه زياراته لدار عمه هى للزواج من ابنته فقط ولاشيئ له علاقة بالمقاومة وكتبت شهادة بذلك وانتهت اجراءات عقد ايجار

الشقة ،، وكان احتفالنا اليوم لتحديد موعد الزفاف الذى تحدد له يوم السبت الموافق الرابع عشر من اكتوبر / تشرين الاول ..اجتمعت اسرتينا يوم الجمعة السادس من تشرين الاول فقد أحضر مازن بعض الهدايا والمتعلقات المتعارف عليها وبعد انتهاء سهرتنا وانصراف أسرة عمى دخلت الدار بعد أن سلمت على مازن الذى أمسك بيدى وضغط عليها لاول مرة فاصطبغ وجهى باللون الأحمر وأنا انتفض فسحبت يدى بسرعة من يده وودعته ودخلت وأنا أغنى : ونقول للشمس تعالى تعالى بعد سنة وأختى تضحك وتقول : هل ستحجبون عنا نور الشمس !! ضحكنا ثم قالت بجدية : توقفى الآن أيتها الفراشة وهيا لنجمع الأكواب وأطباق الفاكهة والحلويات ولنرتب الدار قدر استطاعتنا ونترك الباقى للصباح فقد أنهكنا اليوم ،، اليوم فقط ؟ !!قالت وهى تضحك ثم اضافت : نحن منهكون من يوم الصمدة ثم قبلتنى وهى تدعو لى بالسعادة ،، ذهبت أمى وأبى وإخوتى عبدالله وياسين للنوم وبقينا نحن أنا وخديجة فى صحن الدار نجمع الأطباق وبعد مضى اقل من نصف ساعة وبينما نحن كذلك سكتت أختى فجاة عن الكلام فقد سمعنا نداءا غريبا للصلاة ، أى صلاة الآن فلا هذا وقت

العشـاء ولا وقت الفجر فأى آذان هذا ،، وما أن بدأت الكلام لأسأل ماهذا الذى نسمع حتى وضعت خديجة يدها على فمى ، وأشارت لى أن أسكت وأنصت.

كان النداء يقول : أى شـــخص كان حاضـــرا الدورات التدريبية ولم ينو الذهاب إلى صـلاة الفجر فى المسـجد الذى اعتاد الذهاب إليه يجب ان يذهب.

ماهذا ؟ إسالتنى خديجة وكنت دهشة مثلها أنظر ولا أتكلم فهزتنى قائلة : ماهذا بربك ياترنيم ؟ اتكون خدعة من العدو ؟ ولم تكمل عبارتها حتى سـمعنا طرقا على باب الدار أسـقط قلوبنـا فى أقـدامنـا فعجزنـا عن النطق او فتح البـاب فهـذه الطرقات فى ظلام الليل نعرفها جيدا وقد حفرت فى ذاكرتنا من فرط ماســـمعناها وعانينا مما تبعها من ويلات ،، فمنذ مواجهات ألفين واربعة عشـر وانضـمام أخى عبد الله قبلها لصـفوف المقاومة ثم هروبه ومطاردة سلطة الاحتلال له مع غيره من الشـباب وما تبع ذلك من اسـتشـهاد زوجته وهى حامل فى ابنه من التعذيب لتعترف بمكان اختباؤه ،، حتى هدأت الأحوال بعد إعلان المقاومة انها ســـتوقف عملياتها

وتتجه للتنمية الاقتصـــادية وقد تمت محاكمة أخى وقضـــى خمس سنوات فى سجون الاحتلال ،، واستطاع من عامين فقط أن يعيش بعيدا عن المطاردات ، أيكون هذا ســـرابا وسيعاد علينا السيناريو الحزين هذا مرة أخرى!! ؟ آه ياأخى ماذا نفعل الآن!؟ ســـمعنا الطرق على الباب مجددا .. فاسرعت أجرى إلى حجرة أخى عبد الله وايقظته ليهرب قائلة :استيقظ ياعبد الله .. قم ياأخى وأسرع .. اخرج من الدار أو ابحث عن مكان للاختباء كنت أتكلم بسرعة وانا مضطربة فخرجت كلماتى غير واضحة وقد استيقظ أخى وجلس على السرير وهو يسألنى : ما الأمر ؟ فأجبت : هناك طارقا على الباب لاندرى من هو فأجاب : وما اضـــطرابك هذا إهدئى وسنفتح الباب ونرى من الطارق ، خرج مسرعا نحو الباب وفتحه لنجد أمامنا ان الطارق هو مازن خطيبى الذى دخل مندفعا وهو يسأل عبد الله : هل سمعت النداء ليجيب عبد الله : أئ نداء ياهذا أنا مازلت نائما لم أصـــحو بعد ! فلم أكد أنام حتى أيقظتنى خطيبتك وهى مضطربة و تهذى ولا اعلم ماذا تقول فقمت للباب لأجدك أمامى فما الخبر أخبرنى ، أريد أن

أفهم ما هذا وأى نداء تقصد؟ فاجاب مازن هامسا : إنه النداء ،، حول همس مازن وجه أخى النائم إلى وجه مشرق صبوح وكأنه سمع ما كان ينتظر سماعه.

دخلت خديجة وايقظت أبى فالامر جلل على مايبدو ، جاء ابى وأمى من غرفتهما يهرولان وجاء ياسين واجتمع البيت كله وكل منا استرجع ما كان سريعا دونما كلمة للآخرين ،ثم سمعنا كلاما عن احتمال قيام حرب ومواجهات ارتعدت له فرائصى انا وامى واختى ، وكلمة حرب هى الكلمة التى ما أن سمعتها أمى حتى جلست على الارض واضعة يديها فوق رأسها وأخذت تحركها يمينا ويسارا وهى تقول يارب سلم فهل سنعيش ونتجرع الألم ثانية فهم لن يتركوننا إلا وابنى هذا شهيد او معتقل يااارب كن معنا ولاتختبرنا بما لانطيق ،، و لم ننس للحظة ما كان من معاناتنا فى بيتنا ومع ابننا وكل أبنائنا فى كافة أنحاء قطاع غزة خاصة فى أحياء البلدة القديمة فى الزيتون و الدرج والشجاعية والتفاح من اجتياحات العدو لدورنا مرات ومرات بحثا عن المقاومين تارة وعن الأسلحة والأنفاق تارة اخرى وفى كل مرة كانت أقدامهم الهمجية تدمر ماتقابله فى طريقها وتقلب الدار رأسا على

عقب ويعتقلون الابن إذا وجدوه ثم يغادرون ويتركوننا فى غم وضـــيق وندعو الله بانفراج الكرب ورفع هذا البلاء ، وكم تمنينا أن تكون لدينا القوة لقتالهم وألا نترك المقاومين وحدهم فى مواجهتهم .. فهل جاء هذا اليوم وســتواصــل المقاومة جهادها ؟ يارب كن معهم ومعنا ولاتتركنا لشــر هذا المحتل الذى لايعرف الرحمة وانصرنا عليهم يارب.

هم أخى وخطيبى (الذى عرفنا اليوم فقط أنه فى صـفوف المقاومة ولو كان الامر حديثا) بالخروج فأوصـــاهم أبى بـالحيطـة والحـذر والتكتم حتى تنجلى الحقيقـة فـالامر بـه غموض مخيف ،، فانصـرفوا لاستجلاء الأمر الذى يبدو أنهم كانوا على علم بالكثير عنه مع وعد منهم أن يطمئنونا .. فى طريقهم للخروج كانت هناك مفاجأة أخرى فى انتظارنا فقد فوجئنا جميعا بخروج ياسـين معهم والذى كان قد دخل وغير ملابســه اثناء حديثنا دون ان يلاحظ احد وخرج من حجرته وهو يقول لابى اســتأذنك ياأبى فى الخروج فرد عليه أبى مستغربا : إلى أين ؟ فرد ياسين بأنه مستدعى فاستغرب أبى ووقف شــاردا متعجبا مما يرى ويسـمع وتعجبنا جميعا مما كان من امر ياسـين فكيف كان هذا وكيف حدث ولاعلم لاى

منا به ،، فهل كبر ياسين قبل اوانه !! وكيف استطاع على صغر سنه أن يخفى امر كهذا ، آه يا ابناء غزة تولدون وبذور الشجاعة فى قلوبكم ،، نظر مازن إلى ياسين وقال له أمتأكد ياياسين أنك مستدعى اليوم ؟ فاجاب ياسين نعم وأنا مكلف بتنفيذ أمر سأعلمه بعد قليل فهلموا بنا فلا وقت لدينا نضيعه فى حديث لاطائل منه ،استأذنك ياوالدى فى الخروج انا وعبد الله ، ذهلنا من جدية ياسين والتغيير الكبير فى شخصيته الذى تساءلنا كيف كان خافيا عنا ونحن نقيم فى دار واحدة !! ذهب ثلاثتهم إلى دوار دولة القريب من شارعنا فى انتظار التعليمات حتى حضر مسئول الخلية العقدية الخاصة بهم و التى تجمع افرادها فى الدوار وجاء المسئول إليهم بتعليمات شفهية قائلا : أحضروا أسلحتكم وأى ذخائر لديكم وتجمعوا فى الأماكن المحددة التى يعلمها كل منكم ،، وشدد على الهدوء وان يكونوا فى انتظار باقى التعليمات والتى جاءت فى السادسة صباحا من هذا اليوم السبت السابع من أكتوبر /تشرين الاول للعام ألفين وثلاثة وعشرين.

مالبثت الأوامر النهائية ان جاءت سريعا وكانت مكتوبة هذه المرة وتقول : يتحرك الرجال بسرعة عبر الفتحات التى

ستحدث فى السياج فى غلاف غزة ،، كان الجميع فى شوق لسماع ذلك فتحركوا كالمسحورين وانضم اليهم آخرون فساروا فى هدوء وحذر كما قيل لهم و بقدر استطاعتهم وانضموا للمجاهدين فى حركات المقاومة بمجرد علمهم باختراق السياج المؤدى إلى منطقة غلاف غزة فهذه هى اللحظة التى كان الجميع فى انتظارها للخلاص من هذا الاحتلال المقيت البشع الذى خنق ارواحنا وسود علينا الحياة بأسرها وضيقها علينا.

أما نحن فى الدار فقد مكثنا لانعلم شيئا عما يحدث بالخارج بعد ان شدد أبى علينا بعدم الخروج حتى يستطلع الامر ويقرر بعدها ما سيكون . مرت علينا لحظات كالدهر غلفنا فيها ضباب الرهبة والخوف مع الأمل فى الخلاص . كان الأمر مفاجئا لنا فبرغم معاناتنا التى لاتوصف ورغم اجتياح المستوطنين اليهود للمسجد الأقصى وتدنيسه مرات ومرات ، إلا ان حركات المقاومة وعلى رأسها حماس كانت قد أعلنت أنها غير مستعدة للمواجهات العسكرية وأعمال المقاومة وانها ستركز جل اهتمامها بالتنمية الاقتصادية ، فسلمنا نحن الامر لله موقنين انه لن يضيعنا ، أيكون فى الامر جديد اليوم؟ أم أنه

كمين ؟ لا أحد منا يعلم ولكن قلوبنا الملتاعة لم تهدا دقاتها للحظة.

صلينا الفجر وجلسنا نختم الصلاة وندعو الله ان يحفظ حى الزيتون وكافة أحياء ومناطق قطاع غزة وكل فلسطين الحبيبة ظللنا على ذلك حتى سمعنا أصوات إطلاق صواريخ وانفجارات لانعلم من يقوم بها حتى الساعة الثامنة حيث جلسنا ننصت بلهفة لاول بيان القاه المجاهد محمد الضيف القائد العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام والذى أعلن فيه عن بدء عملية أطلق عليها اسم طوفان الأقصى .. ردا على استمرار قوات الاحتلال فى حصارها الخانق لقطاع غزة والاعتداءات المتكررة للمستوطنين المسلحين على الأهالى ، استمعنا بعدها لمراسلة BBc فى رام الله إيمان عريقات والتى وصفت المشهد الحالى بانه الاول من نوعه فى تاريخ الصراع الفلسطينى الإسرائيلى فى ظل وابل من الصواريخ التى أطلقت من غزة .وهنا علمنا أن ما كنا نسمع هو لصواريخ اطلقت من غزة ،، وبمجرد سماعنا ذلك كبرنا

وصـــحت بحماس من كل قلبى يا الله يا الله ثم قلت بأعلى صـوتى : يا كريم ياحق يامعين كن معهم يارب والطف بهم وبنا . وأمى تجلس فى خوف وتفكر فى عاقبة ذلك وهى تعلمه وكلنا نعلمه لكننا أردنا ان نفرح باللحظة الحالية قبل ان نفكر فى القادم بعدها ،، جلسـنا نتسـاءل كيف حدث ذلك وأين تم الاستعداد له والعدو لايترك أى مكان فى غزة دون مداهمات شبه يومية وتفتيش وتدمير! ؟ أتكون نفحة إلهية ويكون الله قد أرســـل إلينا مدد من لدنه رحمة بنا ؟ ظللنا فى حالة عدم التصـديق هذه حتى جاء البيان التفصـيلى للقائد الضـيف الذى تابعناه بقلوبنا وهو يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى (سَـيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّـاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّـاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ) ياجماهير امتنا العربية والاسـلامية من المحيط إلى الخليج ، ومن طنجة إلى جاكرتا ،، يا احرار العالم اجمعين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ان احتل الكيان الصـــهيونى ارضـــنا وهجر أهلنا ودمر مدننا وقرانا وبلداتنا وارتكب بحق شعبنا مئات المجازر.

بكت أمى بشدة وهى تستمع معنا للضيف فقمنا بتهدئتها وعدنا للإنصات فقال الضيف : سبق وحذرنا قادة الاحتلال من استمرار جرائمهم .. وأهبنا بقادة العالم التحرك لوضع حد لجرائمه بحق مقدساتنا وشعبنا واسرانا وارضنا لإجباره على الالتزام بالقانون والقرارات الدولية فلم يستجب قادة الاحتلال ولم يتحرك قادة العالم بل ازدادت جرائم الاحتلال وتجاوزت كل الحدود وخصوصا فى القدس والمسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فازدادت اجتياحات قواته لباحات الحرم وداسوا قداسة المسجد بأحذيتهم واعتدوا على المرابطات بالضرب والسحل مرارا وتكرارا.

أكمل الضيف : فى ظل هذه الجرائم المتواصلة بحق أهلنا و شعبنا ،، وفى ظل عربدة الاحتلال وتنكره للقوانين والقرارات الدولية ، وفى ظل الدعم الأمريكى والغربى والصمت الدولى ،، فقد قررنا ان نضع حدا لكل ذلك بعون الله ليفهم العدو أنه قد انتهى الوقت الذى يعربد فيه دون محاسب.

طوفان الأقصى

فإننا نعلن بدء عملية طوفان الأقصى ، كما أننا نعلن بعون الله وقوته ان الضـربة الاولى والتي اسـتهدفت مواقع العدو ومطاراته وتحصيناته العسكرية خلال العشرين دقيقة الاولى قد تجاوزت خمسة آلاف صاروخ وقذيفة.

مجاهدينا الابرار :

لا تقتلوا الشيوخ والاطفال وأزيلوا الدنس عن أرضكم.

وإلى شباب الضفة الغربية : ياشبابنا فى الضفة الغربية ، يا كل أهلنا على اختلاف تنظيماتكم اليوم يومكم لتكنسـوا هذا المحتل ومستوطناته عن كل أرضنا فى الضفة الغربية.

وللأهل فى القدس : ياأهلنا فى القدس هبوا لنصـرة أقصـاكم واطردوا قوات الاحتلال والمستوطنين من قدسكم واهدموا الجدران العازلة.

ويا اهلنا فى الداخل المحتل فى النقب والجليل والمثلث وفى يافا حيفا وعكا واللد والرملة اشعلوا الأرض لهيبا تحت اقدام المحتل الغاصب.

يا إخواننا فى المقاومة الاسـلامية فى لبنان وإيران واليمن والعراق وسـورية ، يا اهلنا فى الاردن فى مصـر والجزائر والمغرب العربى وفى باكستان و ماليزيا واندونيسيا وفى كافة انحاء الوطن العربى والاسلامى : ابداوا الزحف اليوم و ليس غدا نحو فلســطين ولاتجعلوا حدودا ولا انظمـة ولا قيود تحرمكم شرف الجهاد والمشاركة فى تحرير المسجد الاقصى وارفعوا راية فلسطين ..

واختتم البيان بان على جميع المجاهدين متابعة التوجيهات والتعليمـات عبر البيـانـات العســكريـة المتتـابعـة واختتم البيان بالآية الكريمة (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أخوكم القائد العام لكتائب الشــهيد عزالدين القســام محمد الضــيف المركز الفلســطينى للإعلام الســبت السابع من تشرين الاول/ اكتوبر/ ٢٠٢٣.

ما ان انتهى بيان محمد الضـــيف الذى نزل على قلوبنا كالغيث قمنا جميعا نكبر ونهلل ونحن نبكى وندعو الله ان يكتب لنا النصر وان يثبت قلوب ابطالنا ويشد على سواعدهم ويسدد رميهم فما سمعناه كان غريبا على أسماعنا بل المشهد كله جديد تماما علينا .. وقد طمأنتنا لغة القوة فى البيان والتى تكلم بها الضـيف وعلقت جملة مما قال فى أذهاننا وهويقول : اعلن نهاية التنســـيق الامنى مع العدو وبداية الثورة لإقامة الدولة الفلسطينية ،، وتساءلنا هل سيستجيب لندائه من دعاهم لمساندتنا ؟ الايام كاشفة وسنرى ماسيكون فى قادم الايام.

بعد انتهاء البيان قررنا الخروج للشارع فلا مجال للمكوث فى الدار ولكن اســتوقفتنا امى والتى ادركت عمق مايجرى وتبعاته فاوصــتنى انا وخديجة بان نرتدى ملابس ثقيلة وان يكون حجابنا محكم ، ثم قامت بجمع مصـوغاتنا الذهبية وما بالبيت من اموال وقامت بتوزيعهم علينا انا وخديجة وهى وابى وطلبت منى انا واختى ان تضـع كل منا ما اعطته لها فى صـرة وتربطها جيدا على خصـرها وان تغطى الصـرة بحزام وذلك تحوطا لما قد تاتى به الاحداث.

خرجنا من الدار بذهن مشوش كالتائهين لاستجلاء الامر ولاندرى إلى اين نذهب فما يجرى اليوم والذى كنا فيه البادئين بإشعال نار الحرب هكذا بهذا المستوى وهذه القوة أمر جديد علينا و ليس له سابقة لنسبر غوره لتتضح امامنا احتمالات نجاحه من فشله .. كانت الاجواء وشعورنا بها كيوم العيد الذى نرى فيه بشائر النصر ولكن جاء الكدر حين جال بخاطرنا رد فعل العدو المجرم والذى ستكون احياء البلدة القديمة كالعادة هى البداية من عنده للضربة الانتقامية.

عند حلول الظلام عاد أخى عبد الله وكان يبدو عليه التعجل للعودة وكانه جاء لمهمة خاصة بالمقاومة فسألناه على مازن وياسين فاجاب انهم بخير وان مازن ذهب لدارهم لطمانة اسرته وانه سياتى ثانية لاستكمال تنفيذ المهام التى سنعرفها فى دوار دولة ونمضى قبل ان يفيق العدو ويبدا فى مطاردتنا ،، وان ياسين سياتى فى اى لحظة هو الآخر فقلت له بلهفة : اخبرنا يا اخى ماذا حدث وأفدنا عن الصواريخ والانفجارات التى سمعناها فقال لاوقت ياأختى للحكى فاستحلفته بالله أن يريح قلوبنا الملتاعة باى خبر فأجاب فى عجالة : خرجنا لمهامنا وانضم إلينا حوالى ثلاثة آلاف رجل

لانعرف إلا اقل من ربعهم فلم يكن هذا العدد فى الحسبان ولكنهم ما أن رأونا نتجه للحدود حول غلاف غزة حتى انضموا إلينا متحمسين وكأنهم كانوا ينتظرونها .. بعد الساعة السابعة قمنا باجتياز الحدود ووصلنا لمدينة سيديروت وقمنا بالاشتباك مع المستوطنين وقوات الحراسة وتبادلنا معهم إطلاق النار وقتلنا وأصبنا العديد منهم بالإضافة لعدد منهم قمنا بأسره وهم من اصطحبهم زملاؤنا إلى داخل غزة وكان معهم ياسين واتجهوا بهم لموقع معروف لديهم بتعليمات تلقوها عن التعامل فى حالة وجود أسرى.

وعلى الجبهات الاخرى للمقاومة فقد تمكن المجاهدين من اقتحام الحاجز وتم تصوير ذلك بمقطع فيديو (تستطيعون مشاهدته على شبكات التواصل الاجتماعى) حيث كان المجاهدون الملثمون يركبون سيارة بيضاء صغيرة ذات دفع رباعى جابوا بها شوارع سيديروت ، فى حين وثق زميل آخر عملية إنزال مظلى فى بلدة أخرى .. تستطيعون مشاهدة فيديو لسرب صقر .. سلاح الجو وسترون مشهدا مذهلا وهى قوات محمولة جوا عن طريق مقعد يحمل فردين ترفعه فى الهواء مروحة كبيرة ومظلة.

أفقنا من ذهولنا من سماع مايقول اخى على صوته وهو يقول : يا ابى ، يا امى ، يا أخواتى ما كنا فيه لايصدق وسأحكى لكم التفاصيل فيما بعد ، ولكنه هو ما كنت احلم به ويحلم به الجميع وان شاءالله سنأخذ بثارنا وسيتم الله علينا نوره . ثم غلب الحزن والخوف وجهه فأطرق وهو يقول : ما جعلنى أجازف وآتى إليكم اليوم مع صعوبة ذلك هو يقينى أن الأسافل لن يتركوكم وأخشى أن يتم التعامل معكم بشكل أشد وأقسى وقد يصل الأمر لتدمير الدار واعتقال أبى أو حتى إخوتى فأرجو يأبى أن تنتقلوا لمكان آخر وتحاولون عدم الظهور قدر الإمكان .

جلسنا جميعا بوجوه واجمة نفكر فيما سنفعله وإلى أين نذهب.

طرق الباب وكان الطارق هو مازن الذى فوجئنا أنه لم يذهب لدارهم كما اخبرنا أخى ولكنه أصيب برصاصة وأنه ذهب إلى المستشفى المعمدانى لاستخراجها ، شعرت بانقباض فى قلبى عند رؤيته ولكنه طمأننا أنه بخير وأنه حضر لاصطحاب عبد الله والعودة ، طلبنا منهم أن يتناولوا بعض الطعام ولكنهم رفضوا كما رفضوا أن يقصوا علينا تفاصيل اخرى لمايجرى فلاوقت لهذا الآن ، ولكن ما فاجأنا

هو ما قاله مازن فقد قال لنا : دون الدخول فى تفاصـيل قد نرويها لاحقا .. عليكم من الآن تدبير مأوى آمن حين تحكم الظروف لاتصـله يد العدو ، من الممكن ان تنتقلوا للإقامة فى دارنا بالدرج ،، وإن تطورت الأمور وأصـبحت الإقامة فى الدرج غير آمنة فبسـرعة تحركوا لمكان أممى آمن وقد اخترت لكم مدرسـة الفلاح التابعة لمنظمة الأونوروا فجارتنا السـيدة روفيدا تعمل بها وقد اوصـيتها بكم وحين تصـلون أخبريها ياترنيم أنك زوجتى وقد طلبت منها ان تسـجلكم فى السـجلات بأسـماء مستعارة سترتبون امرها فيما بينكم ولكن فى البداية أخبريها انك زوجة مازن أبو غيث ثم انسـى هذا الاسـم واسـماء عبد الله وياسـين ،، كونوا فى غاية الحذر فالأحداث القادمة ستكون كالموج الهادر من الطرفين.

كنت وانا أسمع اجهز له كيسا صـغيرا وضـعت به شـاش وقطن ومضاد حيوى ومطهر للجروح مما نحتفظ به دائما فى دارنا ، التقط الكيس وانطلق هو وعبد الله مسـرعين إلى الخارج.

جلسـنا قلقين فى انتظار ياسـين حتى انتصـف الليل ولم يحضـر ونحن لم نفق بعد من مفاجاته لنا بانضـمامه للمقاومة ، ولم يخطر ببالنا ذلك لحداثة سنه فهو لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره ، وعند اقتراب الفجر عاد ياسـين وكان به إصـابة خفيفة وطلب منا عدم توقع حضـوره فى الأيام القادمة فمهمته هى مرافقة وحراسة ثلاثة من الأسرى مع زميل له ولن يكون من الميسر له ترك موقعه لاى سبب ، ثم ضحك وقال : نحن اسرى مع الاسرى.

مضى يوم السبت والأحد ونحن ندعو الله ان يسلم مجاهدينا ويحفظهم وأن يسـلمنا من رد الفعل الذى نتوقعه من الجيش الصهيونى ، ولم يتأخر الامر فقد بدأ الانتقام فى أبشع صوره صـباح يوم الاثنين التاسـع من أكتوبر/تشـرين الاول وبدا بقصف برج غزة وهو أشهر مبنى بغزة ،،تسارعت الاحداث والقصـف والتدمير من العدو فكنا وكأننا فى يوم الحشـر وقد اطلق العدو على عمليته الإنتقامية هذه اسم :

عملية السيوف الحديدية

وذلك بعد ان استعاد السيطرة على جميع البلدان التى كانت المقاومة قد سيطرت عليها واعلن حصارا شاملا على قطاع غزة بما فى ذلك حظر دخول الغذاء والوقود ،، بدأ الامر بقصف عنيف من الطائرات الحربية للعديد من أنحاء غزة ومنها حى الزيتون وكان القصف من القوة فوقنا ما خلع قلوبنا من الصدور وكأنه قد تجاوز أجسادنا ودخل ليفرغ بها مايحمل من نار و دمار، ولو لم نكن معتادين على تصرفات من العدو مشابهة لهذه الاجواء لوقفت الحياة بنا تماما ، ولكن مانراه اليوم يفوق كل تصور فقد بدا الامر وكان الدنيا كلها تنفجر وانتشرت السحب الكثيفة من الدخان والتراب وغطت الأجواء ودخلت إلينا فى الدار وكأن دارنا هى المستهدفة بالقصف ، الذى استمر و أصم آذاننا فكنا ننادى على بعضنا باعلى صوت ليطمئن كل منا على الاخر دون فائدة فلا احد يسمع حتى جاءنا صوت أبى عاليا وهو يقول : انزلوا جميعا تحت الطاولة الكبيرة تحسسوا مكانها الذى تعرفونه ، نفذنا الامر بسرعة وتجمعنا تحت الطاولة ونحن لاندرى هل نحن أحياء أم أن القصف قد طال دارنا.

لم نكن قد أعددنا أغراضـنا للرحيل بعد ، فبمجرد توقف القصـف جهزنا الضـروريات فقط من احتياجاتنا و قررنا مغادرة الدار بشكل سريع قبل أن يستأنف ، وقد كانت وجهتنا هى دار عمى بحى الدرج ،، ولكن وفور خروجنا من الدار فوجئنا بتجدد القصف وكنا قد سرنا خطوات قليلة فعدنا على الفور مهرولين إلى الدار وكل منا ينطق بالشهادتين ويد أمى تتشبث بى وبخديجة وكأننا طفلتين ،، دلفنا إلى الدار ونحن نحمد الله على النجاة من هذا الجحيم وجلسنا أنا وخديجة ننتفض وأبى ينظر من فتحة صغيرة بالشباك عما يجرى وكان كل مانسمعه هو أصوات القصف والانفجارات تصاحبها أصوات استغاثات متألمة لاتجد من ينقذها فتحت القصف لاتتم عمليات المساعدة والإنقاذ ،، تحدثنا فى هواتفنا المحمولة ورأينا على شبكة الانترنيت فيديوهات للاجتياح الذى جرى برا وبحرا وجوا من المقاومة ، وشعرنا بالفخر حين لمسنا استعداد مجاهدينا لهذا اليوم وسعدنا بعدم تسريب الخطة فمعاناتنا مع الخونة لاتنتهى ولدينا مخزون كبير من مرارة الخيانة التى مكنت العدو من مجاهدينا مرات ومرات .

ولكننا اليوم نشـعر ببعض الأمل فمهما حدث لن يكون أسـوأ مما مر علينا وجعلنا نتوق للخلاص مهما كان الثمن الذى سـندفعه .. من كان يصـدق ان مقاومينا سـيصـلون إلى تلك المسـتوطنات بل ويقصـفوها بالصـواريخ من ديمونة فى الجنوب إلى هود هشـتارون فى الشـمال والقدس فى الشـرق وان تسيطر المقاومة على مواقع عسكرية اسرائيلية خاصـة فى سـيديروت ووصـلوا إلى اوفاكيم واقتحموا انتيفوت وخاضـوا فيها اشـتباكات عنيفة وتوج ذلك باقتياد اسرى منهم إلى داخل قطاع غزة.

بقينا بالدار لأيام لانسـتطيع الخروج لقضـاء احتياجاتنا واحتياجات الدار فالأحزمة النارية لاتنقطع حول دور الحى وزاد من صـعوبة الحال ماقام به المحتل من قطع لشـبكات المياه والكهرباء ثم الانترنيت عنا تماما ، عشـنا هذه الأيام حياة تشبه حياة الإنسان الأول رغم أننا داخل دارنا وفى حينا وبلدنا .

جلس أبى صـامتا يعلو وجهه الهم والحزن وبقهر الرجال وبمرارة وحسرة قال : لولا إصابتى القديمة أثناء حربنا معهم

من تسـع سـنوات وجرح لايندمل ما كنت مكثت لحظة هكذا كالعاجز لكن الإصـابة تعيقنى كما أن المقاومة استبعدتنى من أى عمليات وقالوا سيكون لك دور آخر ، قال ذلك وكأنه يبرر لنا جلوســه بالدار فى مثل هذه ظروف ثم أردف : يبدو أن دورى بالحياة قد انتهى ولم يعد لوجودى فائدة ، ردت امى بسـرعة: هون عليك يا حجى ولاتقل ذلك فأنت لنا الظهر والسند بك نقوى ونتحمل ماترى من أهوال ، نظر لها بامتنان وقال : أريد أن أعرف مايجرى بالخارج وأن نرى بعضـنا الآن ونحن نتحدث على الاقل فردت عليه قائلة : وهل كان ذلك مما أغفل عنه ؟ لدينا ثلاث من الفوانيس القديمة التى تعمل بالسولار ، ولدينا كشاف يعمل ببطارية ، ولدينا بعد ذلك الشموع وانا اخزن منها الكثير فهذه أيام أنا على استعداد دائم لها .. لاتقلق ياحجى ســيضـــاء الدار حالا فقال ابى : بل انتظرى حتى نضـع أغطية ثقيلة على زجاج النوافذ لئلا نرى من الخارج ، فأجابت : سـأحضـرها على الفور ولن أشـعل الفانوس حتى تنتهى، ساعدا والدكما يابنات قالتها وهى تذهب لتحضر الفانوس وتتدبر لنا شيئا نأكله.

انتهى أبى من تغطية زجاج النوافذ جيدا وبعد ان أشعلت أمى الفانوس ، دخل إلى حجرته وخرج علينا وهو مبتسم وسعيد فقد اخرج راديو قديم كان يحتفظ به كذكرى من جدى ولحسن الحظ فقد كان لايزال يعمل لأنه كان من ماركة معروفة ولحسن الحظ ايضا فقد كان ابى يحتفظ بعدد كبير من البطاريات .وهكذا اصبح الراديو والفانوس أهم شيئين فى حياتنا الآن بعد ان انقطعت صلتنا بالعالم خارج حدود الدار فأصبحنا نتابع الاخبار من نشرات الاخبار بالراديو لنعرف سير الاحداث ، ومع استمرار اصوات قذائف الطيران الحربى للعدو أصبحنا لانرتدى ملابس البيت ولكن ثلاثتنا انا وامى واختى صرنا نرتدى ملابس الخروج بشكل دائم ونحكم عليها الحجاب كى نظل مستورين إذا ما حدث فى الامور جديد وهو متوقع أن يكون مفاجئا مايصعب معه علينا تغيير الملابس.

وبينما كنا نجلس حول الراديو وكشاف النور سمعنا خديجة تهمس فطلبنا منها أن ترفع صوتها لنسمع فقالت :هو سؤال خطر على بالى فدائما ما نسمع اسم عز الدين القسام ولم نسأل مرة من هو !! فقلت لها : فعلا لم يخطر فى بالى أن أسأل

عنه من قبل وان كنت اعرف انه ليس فلسطينيا فردت اختى بتعجب : وكيف يكون ذلك فاشترك ابى فى الحوار وقال : قديما ياابنتى لم تكن الحدود كما هى الآن وعز الدين القسام من سوريا وكان شيخ ازهرى تعلم فى الأزهر فى مصر ثم جاء إلى حيفا وعمل خطيبا لمسجد الاستقلال ، ولما رأى الظلم الواقع علينا وفهم المخطط الذى يدبر لنا وللمنطقة ، تحول إلى المقاومة المسلحة وانضم له آلاف المتطوعين الذين كانوا يتوقون للجهاد وكانوا فى حاجة إلى قائد وتطوع آخرون فأمدوه بالسلاح والعتاد ولكن الإنجليز لم يتحملوا هذا المشهد وقاموا بقتله فى معركة غير متكافئة وكانت جنازته نواة لحراك المقاومة فى فلسطين والدول العربية .. انتهت المناقشة وهذه المناقشات كنا نفتعلها احيانا حتى لايقتلنا الصمت والتفكير .

انتهى ما كان بالدار من طعام فقد كانت امى ممن يفضلون شراء مانحتاجه طازجا اولا باول ولكن كان لدينا قليل من خزين الخبز المحمص فيوم الاثنين هو يوم خبز العيش لامى التى تصر على ذلك وعودتنا عليه والخبز الموجود كان آخر ماتبقى من خبيز الاسبوع الماضى وكان يوجد كذلك زيت

الزيتون وقليل من الزعتر قامت أمى بطحنه بالهون النحاس الذى تعتز به مع آنيتها الكبيرة ، وأصبح هذا هو طعامنا وعند النوم نقضى الليل متجاورين ويمسك كل منا يد الآخر ،، وقد قمت بسؤال امى : هل يوجد فى المخزن مايؤكل بعد انتهاء الخبز والزيت والزعتر ، وقبل ان تجيب جاءت الإجابة من قذيفة سقطت على دارنا وأحاطتنا النار والدخان والرماد الذى امتزجت به أصوات صرخاتنا وسط الركام وكنا كأننا قد سقطنا فى فوهة بركان مشتعل وقد تلوثت وجوهنا بالتراب وتحولت إلى اللون الرمادى مع بعض الإصابات لدى كل منا ، وحين خفت الدخان واستطعنا الرؤية فوجئنا بإحدى قدمى أبى تحت حجر كبير فجلست امى على الفور على الارض تنبش بأظافرها لإخراج الطوب والتراب من تحتها و جلسنا أنا وخديجة لمساعدتها ومع عجزنا وشعورنا بألم والدى فوجئنا ببعض جيراننا بالحى حولنا بالدار ويحاولون مساعدة ابى حتى استطاعوا إخراج قدمه من تحت الحجر الثقيل ثم قام احد الجيران بإسناده فتلقفه جارنا وصديقه الحاج مهدى الذى استند ابى على كتفه وذهبا إلى مستشفى الشفاء لتلقى العلاج ، وحين علم عمى بالخبر ذهب مسرعا إلى المستشفى ورافق

أبى حتى تمت خياطة الجرح ولفه بالضمادات فاصطحبه معه إلى داره بحى الدرج ، ثم عاد واصطحبنا أنا وامى وأختى وذهبنا جميعا للإقامة هناك ، وكان عمى قبلها كان قد طلب من ابى ضرورة ان نجتمع فى دار واحدة جديدة حتى لو كانت مستأجرة بعيدا عن بيتينا اللذان كانا محطا لانظار العدو الذى لم ينس لأخى فترة نشاطه مع المقاومة كما كان يشك طوال الوقت بوجود نفق اسفل دارنا تابع للمقاومة بالاشتراك مع منازل اخرى مجاورة رغم التفتيش مرات عديدة.

بعد مغادرتنا الدار فى الزيتون بعد ثلاث عشر يوما من الطوفان و حدث التوغل البرى مساء يوم السابع والعشرين من اكتوبر/ تشرين الاول وكنا قد سمعنا نتنياهو فى مؤتمر صحفى وهو يقول أن حكومته وضعت هدفين لهذه الحرب وهما تصفية حركة حماس عبر تدمير قدراتها العسكرية والثانى هو القيام بكل ما يمكن لإعادة المخطوفين واضاف ان عناصر حماس فوق وتحت الارض وفى الداخل والخارج سيموتون وان السابع من اكتوبر هو يوم أسود فى تاريخ اسرائيل . كنت أتحدث مع أبى الذى قال : نتنياهو حول

الحرب فى غزة لحرب دينية حين قال : ستتحقق نبوءة أشعياء واصـفا الاسـرائيليين بأنهم أبناء النور والفلسـطينيون ابناء الظلام وسـينتصـر النور على الظلام وذكر جزء من النبوءة يقول (لن تسمع بعد خرابا على ارضك سنمنح المجد لشعبك سنقاتل معا وستنتصر) رابطا بين معركة غزة ومعركة نهاية العالم (هرمجدون) وان سفر اشعياء تحدث عن حرب اخر الزمان والتى تهدف لتجميع اليهود من جميع انحاء العالم فى فلسـطين تمهيدا لنزول المسـيح المخلص بعد ان يقتل اليهود أعدائهم واشـار لشـيئ خطير وهو ان القتل واسـالة الدماء للاطفال والنسـاء والشـيوخ مسـموح به فى بعض المزامير فمسموح بحرق الاطفال والنساء والشيوخ والشجر .

وسألت زوجة عمى عن اشعياء قائلة : اسمع اسمه كثيرا ولا اعرف عنه شـيئا هل هو نبى من انبياء اليهود ام ماذا؟ فقمت بالرد عليها حيث كان ذلك موضوعا لبحث لى وانا فى الجامعة : فأشـعياء طبقا لما جاء بالعهد القديم هو نبى من انبياء اليهود ولقب بالنبى الانجيلى لكثرة كتاباته عن الانجيل ولقب بالنبى دانيال وعرف بشـخصـيته القوية وبتأثيره على رجال الدولة وكان مصـلح اجتماعى وهو من نسـل ملكى ..

امتدت رسالته على مدار ستين عاما وعاش ثمانين عاما وقد تم قتله بمنشار.

ونبوأته ذكرت فى العهد القديم بسفر اشعياء المكون من ستة وستون إصحاحا ويعتبر اعمق الكتابات اللاهوتية والادبية فى الكتاب المقدس وجاءت كتابته فى اغلبها على شكل اشعار وهو ليس نبوءة واحدة ولكن عدة نبوءات تقول النبوءة فى جزء منها (لن تسمعوا بعد الآن عن الخراب فى ارضكم .. سنكون سببا فى تكريم شعبكم .. سنقاتل معا ونحقق النصر .. لكن لن يخيم ظلام على التى تعانى من الضيق .. فكما أذل الله فى الزمن الغابر ارض زبولون ونفتالى .. فإنه فى الزمن الأخير بكرم طريق البحر وعبر الاردن جليل الأمم .. الشعب السالك فى الظلمة .. ابصر نورا عظيما .. والمقيمون فى ارض ظلال الموت أضاء عليهم نور)

قام الجميع بالتصفيق وقالت خيرات : كيف استطعت حفظ كل هذا ياترنيم! ؟ فقلت : كان الموضوع فى هذه الفترة يشغلنى فقد امرنا الا نصدق نبوءة أشعياء ولا نكذبها ولكن انتظرى فلها جزء آخر أتذكره ايضا ففى الإصحاح الحادى

عشر يقول فيعود الرب ليمد يده ثانية ليسترد البقية الباقية من شعبه من آشور ومصر وفتروس وكوش وعيلام وشنعار وحماة ومن جزائر البحر .. وينصب راية للامم ويجمع منفيى إسرائيل ومشتتى يهوذا من اطراف الارض الاربعة .. وينقضون على اكتاف الفسطينيين غربا ويغزون ابناء المشرق معا ويستولون على بلاد آدوم وموآب ويخضع لهم بنو عمون علقت ابنة عمى أشجان : لم اكن اعرف انك على هذا القدر من الثقافة ياترنيم أنا فخورة بك وبأنك ستكونين زوجة لأخى ان شاءالله . فقلت فى فرحة فلندعو ان تنتهى الحرب ويتم زواجنا قريبا ياارب يااارب فقالوا جميعا آمين يارب . ثم تدخلت خديجة بسؤال قالوا انه الاخير : متى كتبت هذه النبوءات فاجبتها لأننى لازلت اتذكر كل شيى فى هذا البحث فقد تمت كتابة السفر فيما بين عامى سبعمائة وواحد والعام ستمائة وواحد وثمانون ق.م وقد تركز أكثر ماقال فى انه سيتم الخلاص من خلال المسيا الذى سيحكم بالبر والعدل (اشعياء٩:٧،) . ١:٣٢ ومن خلال المسيا تكون اسرائيل نورا لجميع الأمم (اشعياء ٤٢:٦ ،. ٥_٤ :٥٥)

دخلت القوات والآليات من دبابات الميركافا وحاملات الجند إلى قطاع غزة وكانت البداية فى حى الزيتون فقد أقر الاحتلال مرات عديدة ان كتيبة الزيتون إحدى كتائب حماس الرئيسية واعلن الناطق باسم جيش الاحتلال ان الجنود الاسرائيليين يخوضون معارك وجها لوجه مع مقاتلى حماس فى حى الزيتون حيث تحاول الفرقة ستة وثلاثين حسم المعركة مع عناصر كتيبة الزيتون التى تتميز بانها الأكثر دراية بالقتال والتدريب بسبب الموقع الجغرافى المواجه للحدود مع الاراضى المحتلة فى غلاف غزة وبالتالى اكتسب المقاتلين خبرة قتالية عالية وكانت الكتيبة مكونة من عدة زمر كل زمرة من اربعة مجاهدين مجهزين بالاسلحة المناسبة ويعملون بنظام التناوب وتقاتل بنظام حرب الشوارع من الاشتباك ثم الفرار ماقلل من عدد الشهداء وزادت الخسائر فى صف العدو ولذلك خطط العدو منذ اليوم الاول للطوفان لفصل شمال غزة عن وسطها وجنوبها .

عشنا فترة فى دارعمى بالدرج وكانت معنا ابنته ابية التى استشهد زوجها فى اول ايام السيوف الحديدية فتركت منزلها

فى الشجاعية وانتقلت لدار عمى فقد كانت حامل فى اول طفل لها وكانت فى الشهر السابع تقريبا او الثامن عشنا جميعا هنا تحت القصـــف والدمار ونحن نتوقع الموت فى كل لحظة ، وكان بدار عمى طحين ورز وسكر وشاى فزوجة عمى لديها مخزن بمســـاحة كبيرة كانت دائما ما تملأه باحتياجات الدار لفترة تحوطا إذا ما حكمت الظروف وقد خزنت به الجبن القديم ودقة الزعتر ،، عشـنا فترة حتى اشـتد القصـف الذى طال الدار المجاورة لدار عمى بدعوى الاشـــتباه بوجود مقاومين بها ، وقد بدات العائلات فى النزوح من حى الدرج والشجاعية خوفا من القصف الذى لايميز بين مدنى ومقاوم.

جلســـنا لنتدارس خطوتنا التالية فالخطر يقترب منا هنا ونخشـى أن يعرف العدو أننا عائلة عبد الله حجى ..وهنا قال عمى : ليس عبد الله حجى وحده فمن الممكن أن يكونوا قد علموا بانضـــمام مازن ، فالخطر محدق بنا جميعا ولابد من التحرك السريع ومغادرة الدار.

ولكن إلى أين نتجه برأيك يا غيث ؟ قال ابى فاستمر نقاشنا حتى اتفق أبى مع عمى بناء على اتفاقهما مع مازن على

النزوح سويا إلى مدرسة الفلاح مؤقتا حيث الامان تحت مظلة الاونوروا والامم المتحدة .

فى الطريق ســـــار موكبنـا المكون من ابى وامى وانـا وخديجة وعائلة عمى غيث المكونة منه ومن وزوجته الخالة فريحـة واولادهمـا أشـــجـان وترف وخيرات وابيـة وعزام الصـــغير ،، مشـينا وســط القصـــف والانفجارات والتراب والدخان ورائحة الموت التى تغلف الأرجاء ، ومواطنين شعث من كافة الأحياء يمضون بحثا عن أمان ومأوى وطعام نزحوا من الأحياء المجاورة ومن الشمال إلى حينا ومن حينا إلى أحياء أخرى والكل يســير بلاهدى ولا تحديد إلى جهة يذهبون اليها ولكن الشعور بالاضطراب والخوف كانت هى المشـاعر المشـتركة و السـائدة بين الجميع ، قطعنا الطريق فى معظمه سيرا على الاقدام وفى الواقع فالمسافة ليست كبيرة ولكن اصـــابة ابى ومعاناة زوجة عمى من الم المفاصـــل جعل السير على الاقدام به شيئ من الصعوبة ..فقرر عمى استئجار سيارة ربع نقل فى ماتبقى من الطريق دفعنا فيها مبلغا كبيرا وقد أغضـب أبى أن يستغل البعض الظروف ويرفع الاسعار بهذا الشكل ، والواقع الذى لن ننكره أن المال يسهل الكثير من الامور فى مثـل هـذه الظروف ولن نطلـب من الجميع أن يكونوا مثاليين فهو أمر بعيد المنال .

وصلنا أخيرا لمدرسة الفلاح ودخلت أسأل على السيدة روفيدا وأخبرتها انى زوجة مازن ابو غيث فرحبت بنا ثم ذهبت معها لإنهاء الاجراءات وتم تسكيننا بأسمائنا الجديدة نحن واسرة عمى فى فصل من فصول المدرسة مع أسرتين من حى الشجاعية واسرة من جباليا . وقد تم تقسيم الفصل إلى اربعة أقسام مع وضع حواجز بين العائلات للخصوصية ،، وضعنا اغراضنا والتى لم انس ان أضع بينها جلبابى الفلسطينى ، ولا ادرى لماذا فعلت ذلك مع مانحن فيه من بلاء وكدر .

اتخذنا لأنفسنا أسماء جديدة وأخفينا أى ذكر لاسم عائلتنا أو لاخوتى وخطيبى وقد جلسنا نتحدث فى أمرهم وما قد يكون قد حدث لهم فدعونا لهم بالسلامة بعد ان انقطعت كل سبل الاتصال بيننا.

المفاجاة التى وجدناها هنا فى مدرسة الأونوروا ، هى ان الأمان الذى أتينا بحثا عنه مفقود هنا أيضا والمدرسة الأممية فى مرمى نيران قوات الاحتلال ولاماء بها ولاكهرباء إلا فى اوقات قليلة والطعام قليل ويأتى بشق الانفس . مضت أيام على ذلك مع استمرار الاجتياح البرى من دبابات العدو

الميركافا ومركبات الجند التى تسمى النمر التى ملأت شوارع غزة ، وبدأ المجاهدين فى التعامل معها ماجعل العدو يستشيط غضبا ويرفع من قوة انتقامه وقتل المدنيين العزل من السلاح وهو يرفع راية أنه يقصد فقط المقاومين او الإرهابيين على حد قوله ،، وكان بعد كل ضربة يتلقاها من المقاومة يستدير على المدنيين عجزا عن الرد وانتقاما لكرامته المهدرة .. وبلغ الأمر ذروته معنا فى يوم الرابع من نوفمبر / تشرين الثانى فى اليوم الثالث لنا بالمدرسة حيث تم قصف المدرسة التى نزحنا إليها كملاذ آمن ،،، أستيقظنا على صوت انفجارات مخيف صم آذاننا فى فجر هذا اليوم تبعته اصوات استغاثة ، حاولنا الخروج لكن الدخان الكثيف كان يغطى كل الانحاء فاختنقت امى حيث انها كانت تعانى من حساسية شديدة بالصدر لم تستطع معها التحمل وتوقفت قدرتها على التنفس تماما وقد جعلنا القصف والدخان الشديد وحالة الهلع والفوضى الشاملة فى المكان عاجزين عن الرؤية فضلا عن تقديم المساعدة وحين انقشعت الغيوم فوجئنا بأمى فى حالة سيئة تعانى من الاختناق الشديد لنصف ساعة

ونحن نقف امامها عاجزين مكروبين ندعو الله ان يكتب لها النجاة ولكن كان عمرها فى الدنيا قد انتهى اليوم ،، ارتقت امى إلى رحمة الله وهى بين أيدينا ونحن على اسوا حال بعد ان عجزنا عن إنقاذها ،، صـعدت روحها إلى بارئها وهى تمسك بيدى وبيد اختى كعهدنا بها من اول يوم للطوفان وفى كل مرة يواجهنا اى خطر. وقد اصـابها هذا القصـف برجفة شـــديدة وكأنها كانت ترى ملك الموت يطوف بالمكان فاستسلمت وتوقف قلبها المتعب .. توفت حبة القلب تاركة لنا شقاءا فوق شقائنا . بصعوبة دخلت إلينا طواقم الدفاع المدنى والإسـعاف والتى كان العدو يعرقل دخولها كعادته .. وفور دخولهم تصـرفوا بسـرعة مذهلة فى نقل الجرحى والشـهداء وكأن هناك من يتعجلهم او أن العدو حدد لهم مدة محددة لاجلاء المصابين والشهداء ، نقلت امى معهم وذهب معها ابى فقط طبقا للتعليمات بأن يتبع الشـهيد شـخص واحد ، وجلسـنا انا واختى وزوجة عمى وبناتها نبكى امى ونبكى انقلاب حالنا وماصـرنا إليه ودعونا جميعا ان يقدر لنا الله القيام بأى دور

فيما يحدث بدلا من جلوسنا هكذا لانفعل شيئا إلا اجترار الحزن والألم.

ذهبنا فى اليوم التالى للإدارة وقمنا بالتنسيق معهم لنقوم بقدر استطاعتنا من تقديم المساعدة لكبار السن والمرضى ونذرنا هذا انا واختى صدقة على روح أمنا ، طبعا لم يكن الامر سهلا لان قوات الاحتلال تمنع الخروج من المدرسة إلا بإذن مذل منهم لاعتقادهم ان بالمدرسة من يتعاون مع المقاومين وقد طالت شكوكهم هذه النازحين والعاملين بالمدرسة.

مضت سبعة ايام فوجئنا بعدها بأخى عبد الله امامنا بالمدرسة وقد جاء متنكرا وكانه رجل عجوز ، فكان مجيئه مثل قطعة السكر فى محيط من العلقم ، حزن لوفاة أمنا وبكى بشدة وهو يشعر بالذنب تجاهها فلولاه لكانت فى دارها حتى الآن ،، ثم قال : كنت أنا ومازن نبحث لكم عن الأمان وتجنب انتقام الشياطين ، كنا نلتمس الامان لكم تحت الراية الزرقاء ، لا لفقد أمى هكذا ! قال ذلك وهو يبكى ثم استغفر الله وقال إنما هى آجال مكتوبة ولانقول إلا مايرضى ربنا.

بعد ان هدانا من روع اخى وقال له ابى أنه لاذنب له ولا لأى أحد إلا المحتل المجرم وأن عليه أن يركز فى عمله حرصا على سلامته .

فجلس يحكى لنا ونحن نشعل نارا خفيفة لنستدفئ بها انه وزع بخلية عقدية غير التى انضم إليها مازن الذى سيحضر هو الآخر فقد اتفقا عبر وسيط ان يتقابلا هنا . قضينا فى هذا اليوم وقتا مع اخى واسرة عمى شعرنا فيه ببعض الونس والامان الذى كنا قد نسينا طعمه ،، حكى عبد الله عن ضخامة الطوفان وانه أعاد للذاكرة ما كان فى أعوام ألفين وثمانية و الفين وأربعة عشر ولكن بصورة أضخم ، بصورة كنا نتمناها فتذكرنا كيف واجهت المقاومة فى حى الزيتون محاولات توغل قوات الاحتلال بالكمائن النوعية التى اوقعت جنوده بين قتيل وجريح واجبرته على الانسحاب واكتسب الحى من وقتها أهمية لمواجهته ابرز التوغلات العسكرية ، بالإضافة لأهمية موقعه كونه نافذة على شارع الجلاء وشارع صلاح الدين ، نعرف هذا ياأخى قالت اختى واستأنفت اكمل بما لانعرف فأكمل عبد الله : سمعت فى هذا اليوم اجمل صوت سمعته فى حياتى وهو صوت صفارات الانذار

الإسرائيلية ونحن ندخل عسقلان بالمناسبة فإن رئيس وزراء الكيان بنيامين نتنياهو يسكن فى عسقلان وسيأتى اليوم الذى نصل فيه إليه ونخلص العالم من شره المستطير الذى لاتحده حدود.

هل تعلمون ان هذا الطوفان قد خطط له منذ خمس سنوات وان دراسات تمت له من جميع الزوايا والاحتمالات !؟ كان اخى يحكى لنا وكله اعجاب وانبهار بعمل المقاومة وهو ما اسعدنا وأثلج صدورنا وشعرنا ان لمعاناتنا هذه مقابل يستحق التضحية من اجله.

علمنا منه كيف ان حركة حماس خدعت العدو وهى تستعد لهذا اليوم وتم تحديد يوم الطوفان حين علمت الحركة ماينويه العدو من الإعداد لهجوم كبير على غزة بعد ان بداوا فى ترديد تراهات غريبة عن ذبح بقرة حمراء يهدمون بعدها المسجد الاقصى لبناء الهيكل الثالث لسيدنا سليمان عليه السلام.

البقرات الحمر

قاطعته اختى:

اتقول بقرة ؟ أنا لم اسمع إلا عن البقرة فى القرآن هل هذه ماتقصـــد؟ أجاب عبد الله : يا اختى موضـــوع البقرات هذا يطول شرحه وانا حتى لم أفهمه جيدا لأشرحه لك،،فأسكتهما أبى و أشـار إلينا أن نسكت وننصـت لما سيقول عمى غيث فهو بحكم كونه قد درس التاريخ فى جامعة غزة وامتهن تدريس مادة التاريخ بمدرسة صفد بحى الزيتون منذ اكثر من ثلاثون عاما ، سيكون الاقدر على توضيح موضوع البقرات الحمر ، اهدؤوا يا اولاد فعمكم لن يبخل علينا بعلمه ..جلسـنا وكلنا شوق وشغف لمعرفة ما هى هذه البقرة التى قلبت الدنيا فوق رؤوسنا وأخرجتنا نازحين من ديارنا.

فقال عمى : ابوكم ايضـا يعرف وكنت قد حكيت له عنها فرد ابى : بل احكى انت فإذا حضـر الماء بطل التيمم علاوة على إنى لم اسـتوعب إلا القليل مما حكيته لى من معلومات كثيرة وغريبة وعصية على الفهم والتصور ، فقال عمى إذن تنصتون جيدا فانا لن اكرر ما ساقول مرة أخرى .

جلسنا حوله منصتين بعد ان انضم إلينا ثلاثة من العاملين بالمدرسة جذبهم الحديث فطلبوا الانضمام والاستماع ووافق عمى وبدأ قائلا : **البقرة الحمراء**

بالعبرية هى بارا او دوما ولها مواصفات خاصة فتكون ذات شعر أحمر يغطى كل جسمها بدون اى شعرة بلون آخر والا تكون قد انجبت او حلبت او أن يكون قد وضع فى رقبتها حبل وتكون ولدت ولادة طبيعية وتربت على ارض إسرائيل.

نظر عمى إلينا فوجد انصاتا تاما فأكمل : يرجع اصل ولادة البقرة الحمراء خالصة الاحمرار فى الديانة اليهودية إلى ماقبل ألفى عام، ففى حقبة المملكة الاولى والثانية لليهود تم مزج رماد لبقرة حمراء صغيرة ذبحت فى عامها الثالث وجرى خلط دمائها بالماء الذى استخدم فى تطهير الشعب اليهودى وانه تم التضحية ببقرة حمراء لبناء الهيكل الاول ، وثمانى بقرات فى زمن الهيكل الثانى و انهم يستعدون الآن لمرحلة الهيكل الثالث المرتبط بولادة البقرة العاشرة الحمراء ، وقد اعلنت جمعية معهد الهيكل ان هذه البقرة ولدت منذ

عامين وانه قد تحدد موعدا لذبحها فى الثانى من نيســـان الموافق العاشر من إبريل ٢٠٢٤ وانه سيكون ثانى ايام عيد الفطر ، ففى عام ٢٠٢٢ حصل الحاخامات على خمس بقرات ومع دخول عامها الثالث ســتكون مؤهلة للذبح . اســتوقفنا حديث عمى الذى لم نستطع استيعابه وكأننا نستمع لأساطير وحكايات خارج حدود العقل فقلت : نحتاج لشيئ من التبسيط ياعمى لما تقول لنفهم أصــل حكاية البقرة وعلاقتها بما نحن فيه فقال عمى : أعرف ان الامر معقد وســأحاول تبســيطه ولكن مطلوب منكم ايضـــا التركيز حتى لاتفوتكم تفصـــيلة فالحكاية كلها تفاصيل غريبة واستأنف الحكى: **جذور الشعيرة**

طبقا لتعاليم العهد القديم تتفق طوائف البروتســـتانت والاصـولية المسيحية مع اليهود فى الإيمان بعودة المسيح اذ يذكر سفر الإصحاح ١٩ من سفر العدد احد الاسفار المنسوبة لسيدنا موسى عليه السلام : ان الرب امر النبى موسى بالبحث عن بقرة حمراء خالص لونها للتطهر من نجاسـة الموتى كما جاء ذكرها فى التلمود فى قسم المشناة وهو عبارة عن شروح الحاخامات للتوراة وتتلخص فكرة هذا المعتقد:

فى ان على اليهود فرض التطهر برماد البقرة الحمراء من نجاسة الموتى والتى لها عدة أشكال منها ملامسة الموتى أو الوجود مع الميت فى مكان واحد او المرور بجنازة او مس احد القبور أو لمس عظام ميت ،، وإن لم يتطهر يظل نجسا طوال حياته و ينقل النجاسة إلى الأشخاص والاشياء التى يلمسها واما من لمس إنسان قد تنجس بالموتى او لامس حيوان نجس فيبقى نجس حتى المساء سألت ترف عمى : شروط البقرة جدا صعبة !! لكن يأبى كلها حمراء حتى رموش عينيها! ؟ فأجاب نعم فلابد ان تكون كل البقرة حمراء بما فى ذلك رموشها وحوافرها وقرونها ،، وتكون خالية من العيوب والتشوهات ولم تحمل على ظهرها وزن ولم يصعد على ظهرها حيوان ذكر ويستثنى من ذلك الطيور.

وقد تم نشر إعلان بذلك جاء به أنه من توجد لديه بقرة بهذه المواصفات فعليه ان يبلغ عنها لتفحص وتبقى تحت الرقابة فإذا استوفت الشروط تنقل إلى أور شليم وتمشى فى شوارع المدينة تحت انظار الناس ثم تنقل إلى الهيكل حتى يوم التضحية.

كنا شـغوفين وننصـت لما يقول عمى ونجلس وكان على رؤوســنا الطير وإحســاس كل منا اننا بصــدد حكاية من الأساطير التى لاتصدق ، وكل منا يريد ان يسأله سؤال وفى نفس الوقت لانريد ان نثقل عليه وندعه يكمل حديثه حتى قال ابى : يـا اولاد اتركوا عمكم يكمـل ولاتقطعوا حـديثـه وفى النهاية لكم الاسئلة وقد كان ابى قد ادرك ان عمى على وشك تأجيل باقى الحديث ،وقد أسـعده رأى ابى واسـتانف حديثه : ساكمل لكن ما ألمح من علامات الاستخفاف بالامر لايعجبنى فالامر جد خطير وهو السـبب فى كل مانعانيه وتعانيه الامة مع هذا الكيان الشيطانى . شعرنا بالاسف لما قاله عمى وهو صحيح وجلسنا نسمع بكل اهتمام وجدية.

فقال : لابد ان تكونوا على علم بان البقرات الحمر هذه هى التى عجلت بطوفان الاقصى وحددت موعده والذى لم يكن قد تم تحديده بعد بالرغم من وضـع المخطط كاملا له ، فقد كان الكيان قد حدد يوم الثانى من نيســان لذبحها وهو اليوم الذى ذبح فيه سـيدنا موســى عليه السـلام البقرة الاولى وفى هذا اليوم يجتمع حكماء اســرائيل للتباحث فى موقع الذبح الذى يجب ان يتسع لحفظ اوانى الرماد لعدة أيام قبل المزج بالماء.

طقوس ذبح البقرة

أكمل عمى : يقوم الطقس على ذبح بقرة حمراء تنطبق عليها الشـروط التى ذكرتها لكم .. ثم تحرق ويضـاف اثناء الحرق خشـب الارز ونبات الزوفا وصـوف مصـبوغ باللون القرمزى الداكن ، ثم يجمع الرماد بعد الحرق ويدق ويوضـع فى إناء فيه ماء نقى ، ويرش به الشخص المراد إزالة نجاسته فى عملية تستمر لسبعة أيام ويرش الإنسـان المتنجس بالماء فى اليوم الثالث ولايصبح طاهرا إلا برش اليوم السابع.

ويشـرف على هذا الطقس نائب رئيس الكهنة الذى يسـتعد مدة سـبعة ايام فيقيم فى غرفة حجرية فى الهيكل لانهم يعتبرون الحجر لا يتأثر بالنجس .. وفى هذه الفترة لا ياكل ولا يشـرب إلا فى آنية حجرية ، ولايمس شـخصـا او شـيئا ينجسـه . ويشـترط عند الذبح أن يتم حضـور جماعة من الحكماء وجمهور من بنى اسـرائيل لاسـيما الرجال وكل من يحضر من الكهنة وغيرهم عليه ان يستعد للمناسبة عن طريق التعميد بالمياه الطاهرة ويرش الكاهن المكلف بالطقوس بمياه مخلوطة برماد البقرة السابقة.

يقوم الكاهن المكلف بذبح البقرة بذبحها ثم تنثر دماؤها باتجاه الهيكل سبع مرات ولايشارك بالحرق ولاجمع الرماد ولا رش الماء ، بل يقوم بكل واحدة منها رجل آخر طاهر.

تحرق البقرة بالكامل اللحم والجلد والدم والفرث ويكلف بجمع رمادها بعد الحرق ثلاثة من الصبية الذكور تتراوح اعمارهم بين سبع وثمانى سنوات . قاطعته خديجة وهى تضحك وهل هؤلاء لهم شروط ايضا !؟

غضب عمى فقد نبه ان الموضوع جاد جدا وخطير يتوقف عليه مايجرى علينا فى فلسطين ويمتد تأثيره للعالم الاسلامى كله احست خديجة بالحرج فلم يلتفت لها عمى وأكمل حديثه :اختيار الصبية يتم طبعا وفق شروط شانهم فى ذلك شان كل مشارك فى هذا الطقس ،، والشروط هى ان ينشأوا فى خدمة الرب فى ساحات حجرية مجوفة من الاسفل للتاكد من عدم وجود قبور تحتها ، ويحرص بشدة على عدم سيرهم فوق المقابر ويساعدهم فى ذلك رجل طاهر نذر منذ ولادته لهذه المهمة وتربى وفقا للشريعة اليهودية وخضع لرقابة صارمة بحيث لايتعامل قط مع اجساد الموتى حتى لا يفقد طهارته.

يوم تأدية الطقوس

فى اليوم المعلوم يحمل الصبية الثلاثة على ثيران احترازا من ان يعلق بهم شيئ من النجاسات أثناء سيرهم إلى موضع الذبح والحرق ، او ينقلون مع الكاهن عبر الطابق الثانى من جسر يشيد من الحجر بين جبل الهيكل وجبل الزيتون ،، بعد حرق البقرة يقوم الصبية بسحق ماتبقى منها بعد حرقها ويجمعون الرماد ويستخدمون فى ذلك مطارق ومناخل حجرية ويحفظ الرماد فى اوانى حجرية فى مكان طاهر لمدة ثلاث ايام فى قرية سلوان جنوبى مدينة القدس ، ويرش الماء المخلوط بالرماد على كل من تنجس وعلى الناس جميعا وعلى الامتعة والمكان الذى سيقام فيه الهيكل ويحفظ شيئ منه فى كل مدينة لعمل التطهير اللازم لكل من تنجس ، وفى الوقت الذى تطهر فيه المتنجسون فإنه يكون قد تنجس حسب المعتقدات الدينية اليهودية كل من يقوم بالطقوس ، فالكاهن وكل من يشارك فى طقوس الذبح والحرق وجمع الرماد ورش الماء يتنجس فى ذلك اليوم إلى المساء ويجب عليه ان يغسل ثيابه وجسده بالماء.

سـأل أبى عمى قائلا : كنت قد اخبرتنى ياغيث ان هناك اكثر من بقرة ذبحت فى فترات سحيقة سابقة ،، على ما اتذكر كانوا تسع بقرات؟

ضـحك عمى وقال : هذا صـحيح فلتكمل أنت للأولاد وتفيدهم بخبرها ولكن أبى كمن يريد الهروب قال : انا بالكاد تذكرت الرقم بالله عليك ياالخى اكمل فقد امضـينا فى سـماع حديثك وقتا اقتطع مما نعانيه هنا وهان علينا امره فاكمل ولكن إن كنت تشـعر بالاجهاد فلنسـتكمل غدا . قال عمى بل اكمل الآن فالباقى قليل ولا اريد قطع افكارى.

واكمل : على مدى تاريخ اسـرائيل الطويل اسـتطاعوا الحصول فقط على تسع بقرات حمر وكانت كالتالى :

البقرة الاولى : اعدها نبى الله موسـى وكان ذلك فى الشـهر الاول للعام الاربعين للتيه وهو مايوافق العام ألف واربعمائة وخمسـة وخمسـون قبل الميلاد وقام بالطقوس وقتها نائب رئيس الكهنة إليعاذر وذبحت بربوة قادش بوادى عربة بين خليج العقبة والبحر الميت ،، وبعد الحرق احتفظوا بالرماد (بعد ان تطهروا) بعد ذلك حتى أثناء السبى البابلى.

البقرة الثانية : اعدها عذرا فى العام خمســـمائة وواحد وخمسون ق.م

البقرة الثالثة والرابعة : اعدهما ســـمعان العادل فى العام مائتين وخمسة وسبعون ق.م

البقرة الخامســـة والســـادســـة : اعدها الكاهن الاعظم لبنى إسرائيل يوحانان فى العام مائتين ق.م

البقرة الســـابعة : اعدها أليو عســـينى بن قيافا فى العام سبعون ق.م

البقرة الثامنة : اعدها حننمل المصـــرى فى العام التاســـع والخمسين ق.م

البقرة التاسعة : أعدها إسماعيل بن فانوس فى العام السابع والثلاثين ق م

وقد ذبحت البقرات الثمانية واقيمت طقوس كل منها فى مكـان مختلف من جبـل الزيتون وكـان يتم حرق البقرة فى حفرة حجربة طولها ثلاثة امتار وعرضـها ثلاثة امتار وتضـم تســع كوات حجرية لحفظ الاوانى التى جمع فيها الرماد ، وكان الكاهن المكلف يقف اعلى الحفرة على منصـــة كبيرة لينثر بعض من دماء البقرة بعد الذبح نحو باب الهيكل ،، وقد حفظ رماد البقرة الاولى فى مكان طاهر .. اما الثمانى بقرات بعد ذلك فقد وضــع رمادهم فى اوانى من الحجر وتم حفظ رماد كل بقرة فى موضــع مختلف عن غيرها فى حفر من الحجر فى جبل الزيتون.

كان مايقول عمى من معلومات عصـى بعضـه على فهمنا او فلنقل استيعابنا وتداخلت بعض المعلومات فكنا كمن تناول وجبة دسمة وحين شعرت ان الحديث اقترب من نهايته طلبت من عمى ان اسـاله سـؤال فوافق وكان سـؤالى والذى شـغل تفكيرى وتفكيرنا جميعا هو : ما هى اهمية البقرة لتحظى بكل تلك المكانة لدى اليهود ؟

فـاجـاب عمى : إن البقرة على مـدار التـاريخ شـــكلـت منظومات دينية واسطورية للعديد من الشعوب والأمم و جاء ذكرها فى الالواح والكتب الدينية عند السومريين ضمن قائمة المعبودات ولدى الاشـوريين وفى الحضـارة الفرعونية كانت البقرة حتحور .. وقبل الاسـلام عند العرب كانت ترمز لإله الخصـب والقمر والثور الوحشـى كان مقدسـا لديهم ولاتزال البقرة تقدس فى الهند ،، كما ســمعتم لم يكن ظهور البقرة عابرا لدى الامم بل مؤثرا فى الإجتماع البشـرى بما فى ذلك السياسـة ، فلا نستغرب هذا الحضـور بظلاله على الصـراع الاســرائيلى الفلســطينى ففى التوراة (قال الرب لموســى وهارون هذه فريضــة الشـريعة التى اقر بها الرب كلم بنى اسـرائيل ان ياخذوا إليك بقرة حمراء صـحيحة لتعيل فيها ولم يثل عينها نير) العدد١٩|٢ لتكون لبنى اسـرائيل وللغريب والنازل فى وسطهم فريضة دهرية العدد١٩ | ١٠

وقد كان للبقرة قداسة لدى اليهود فقد عبدوها حين صنعها السامرى وكانت الخطيئة الاولى لهم والتى تم عقابهم ثم غفرها الله لهم بعد ان قبل توبتهم وقد كانت لهم خطيئة اخرى وهى سرقة ذهب المصريين اثناء هروبهم من فرعون .. ثم كانت خطيئتهم الكبرى حين رفضوا دخول الارض المقدسة مع النبى موسى عليه السلام وموقفهم المتخاذل بعد ذلك مع يوشع بن نون .. كل هذا حولهم من شعب الله المختار الى امة ملعونة محكومة بالشتات الابدى بين البلاد ما اوجب عليهم التطهر من هذه الخطايا .

وقد حدث فى العام على ما اتذكر ألف وتسعمائة وتسعة وثلاثون ان اعلن الحاخام اليهودى ابراهام كوك بان على كل يهودى ان يتوب توبة كبرى بالعودة لاسرائيل لكى يقيموا فبها الهيكل ولايقام حتى يتطهروا ،، وفرضت هذه الرؤية موضوع ذبح البقرات على الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة.

كان السؤال هذه المرة من زوجة عمى فريحة التى قالت : ولماذا ياغيث يساعدهم المسيحيون فى ذلك الامر! ؟ فقال : لايوجد نص فى الأناجيل يتعلق بالبقرة الحمراء لكن المسيحيين يؤمنون بالتوراة وتسمى عندهم العهد القديم ،، وهم

وان كانوا قد تجاوزوا فقه الشـريعة اليهودية منذ وقت مبكر إلا أنهم أعادوا تأويل الكثير من نصوص التوراة واولها عقيدة البقرة الحمراء بما يتناسـب مع عقيدتهم المسـيحية فاعتبرها بعضـــهم رمزا للمســـيح المخلص فهو الوحيد الكامل الذى لاعيب فيه وقد قتل من وجهة نظرهم تطهيرا للبشـــر من الخطيئة الاولى التى ارتكبها أبواهم آدم وحواء ،، ولاعلاقة للبقرة الحمراء بعودة المســـيح ولكن تيـار الانجيليـة البروتسـتانينية فى امريكا والذى يدعمه بشـدة دونالد ترامب الرئيس الامريكى السـابق ويشـترك معهم فى الإيمان بنبوءة وقوع حرب هرمجدون بفلسطين وبناء الهيكل الثالث المزعوم ليكون سببا لعودة المسيح وقد حصلوا على حكم قضـائي فى عام ألفين وثلاثة يجيز لهم اقتحام المسـجد الاقصـى فرادى وجماعات بحثا عن الهيكل وكانوا قد قاموا بعمل نفق فى العام الف وتسعمائة وثمانية وستون بالحفر تحت البيوت والمساجد العربية المحيطة بالحرم وانشاوا به كنيس يهودى.

هذا التيار تبنى ظهور البقرات الحمر واعتبر ظهورها نبوءة بعودة المسـيح ليحكم العالم بالعدل والسـلام وهو التيار العقائدى للصـهيونية ، ولتعجيل ظهور المسيح سعى التيار فى

امريكا بحثا عن البقرات الحمر ومنها البقرات الخمس التى قاموا بإرسالها لاسرائيل فى نهاية عام ٢٠٢٢ ولهذا التيار تأثير واضح على السياسة الغربية خاصة فى بريطانيا وامريكا فهم يؤمنون بعودة المسيح بعد بناء الهيكل الثالث وانهم سيستعيدون دولة اسرائيل من اليهود وسيتم تحويلهم إلى المسيحية ومن اجل ذلك يريدون التطهر لأكبر عدد.

واين الاسلام من ذلك يابى سألته اشجان فقال : وصف القرآن (البقرة) بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (سورة البقرة آية ٦٩) لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ، سورة البقرة آية ٧١).

كما تلاحظون البقرتان الحمراء والصفراء تتفقان فى الاوصاف وان قصتهما وقعت فى بنى اسرائيل لكن كل واحدة منهما اتت لغرضها الخاص فالحمراء جاءت للتطهر من النجاسة وفقا لاعتقادهم والصفراء لكشف طبيعة بنى اسرائيل المراوغة وموقفهم من اوامر الله التى جاء بها النبى موسى .. هذه رواية الاسلام ولكنها أسطرت بالروايات وخلط الناس بينها وبين قصة قتل النفس التى اعقبتها مباشرة) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا (سورة البقرة آية٧٢).

وقد فطنت المقاومة الفلسطينية لتاثير الأساطير السياسية التى يتم تضخيمها باسم الدين فجاء طوفان الاقصى فذبح لهم البقرة الحمراء قبل ذبحها لهيكل الوهم وخلخل اركان المشروع القائم على الاساطير واوجد وعيا عالميا بالقصة الفلسفية فخرجت شعوب العالم لمؤازرتهم.

انتهى حديثى ولكنكم لم تسالوا عن البقرة العاشرة قال عمى ونحن نجلس امامه وكان على رؤوسنا الطير مما نسمع من غرائب واساطير تقيم دول وتشعل حروب وتغتصب حق الغير.

قال عمى اسمعوا ما ساقول لكم وليكون هذا ختام حديثنا عن البقرة الحمراء : حكيت لكم عن التسع بقرات الحمر فى التاريخ فماذا عن العاشرة ؟ الإجابة هى ان اليهود لم يتمكنوا من الحصول عليها والتطهر منذ مايقرب من الفى عام فقد كانت المواصفات دائما تشكل امرا غاية فى الصعوبة فضلا عن ان الهيكل الثانى قد هدم فى العام سبعين قبل الميلاد وتم طرد اليهود الذين تشتتوا فى البلاد.

وللبقرة العاشـرة اهمية خاصــة عند اليهود إذ انها تشـكل محورا أساسيا فى مخطط بناء الهيكل الثالث فهم يعتقدون انهم شــعب تنجس منذ عشــرات القرون وليس لهم خلاص إلا بالتطهر برماد البقرة الحمراء ليتمكنوا من دخول المعبد (اى المســجد الاقصــى) تمهيدا لهدمه وبناء هيكل ســليمان على انقاضه ،، كما يعد طقس التطهر برماد البقرة العاشرة إشارة لديهم لاندلاع معركة هرمجدون التى يعتقد اليهود انها مقدمة لظهور المسيح المخلص وتحقيق خلاص اليهود ،، فاليهود لم يؤمنوا بعيسى المسيح وحاربوه واعتقدوا انهم قتلوه.

وبدا البحث عن البقرة الحمراء العاشــرة لإقامة طقوس التطهر منذ قيام دولة الاحتلال فى فلســطين فى العام الف وتسعمائة وثمانى واربعون وقد حرم عليهم الحاخامات دخول المسجد الاقصى قبل التطهر من نجاسات الموتى و يدين بهذه الفتوى اكثر من مليون وربع المليون اســرائيلى من يهود الحريديم وهم يشكلون ثلاثة عشر بالمائة من سكان اسرائيل وهم بانتظار تنفيذ طقس البقرة الحمراء العاشــرة لاقتحام المسجد الاقصى.

وفى سبتمبر ايلول من العام ألفين واثنين وعشرون وصلت البقرات الحمر وكانوا خمس بقرات إلى دولة الاحتلال وكانت ولادتهن قد تمت فى إحدى مزارع ولاية تكساس الامريكية ،، وحصلت على تسهيلات عند دخولها إسرائيل فلم تخضع للفحص الالزامى ولا وضعت الاختام الخاصة بالبقر.

لم تكد تنتهى هذه الوجبة الثقافية السياسية الدسمة ومعقدة التفاصيل التى تكفل بها عمى حتى فطن كل منا لانطفاء النار التى كنا قد اشعلناها لنتدفا بها وبدأنا نشعر بالبرد وكأنه جاء فجأة ومعنا ابى وعمى وزوجته فقمنا جميعا وبسرعة الى داخل فصلنا ونمنا بعمق رغم البرد.

فى صباح اليوم التالى حضر مازن وحين علم بما حدث للمدرسة جلس للحديث مع ابى وعمى قائلا : حين رتبت امر نزوحكم إلى هنا كان أمانكم هو ما ابحث عنه ، اما وان الأمان مفقود هنا ايضا فقد وجب الرحيل ..وافقاه الاثنان على ماقال ولكن قال ابى : وإلى أين نذهب ودارينا مرصودتان علاوة على تهدم دارى بالزيتون جراء القصف كما ان شقة زواجكم يخامر حكومة الاحتلال شك حولها وحولك نسال الله لك السلامة ياولدى.

فقال مازن : وجدت دارا وانا فى الطريق إلى هنا هى متهدمة تماما ولكن بشكل يسمح بإقامة سرية سأحكى لكما عنها بعد ان أقابل صاحبها واتحدث معه بشانها واسمع مايقول ومن الممكن حينها ان تنتقلون إليها.

ومن صاحب الدار ياولدى سأل عمى فاجاب مازن : دار ابراهيم زنداح فرد أبى وعمى ان عائلة زنداح من العوائل عريقة النسب ،، وأين ستقابله فقال هنا فهو نازح معكم فى نفس المدرسة.

وفى الصباح ذهب مازن للعم إبراهيم زنداح فوجده حزبنا باكيا فقام بمواساته فى وفاة افراد اسرته فقال ابراهيم : بل تواسينى يابنى فيما انا فيه فأهلى بإذن الله ورحمته فى الجنة شهداء أما انا فبقيت فى العذاب لاقيمة لى ولادور ولا اهل ، وبكى تاثرا فقال مازن : بل لك ياعمى وسيكون دور كبير ان شاءالله ،، فرح الرجل وقال : اخبرنى يابنى ماذا بإمكانى ان اقدم وانا فيما ترى من كرب الحال ؟

فساله مازن : ما حال داركم ياعمى ؟ فأجاب : تهدمت الدار ياولدى وقضى على جزء من اهلى فيها والباقى ذهب من هنا.

فســأله مازن وهو يهمس بعد أن اقترب منه : هل بها نفق حقا؟

نظر له العم ابراهيم بخوف وقال : اى نفق ؟ ومن اخبرك بهذا؟ فاجاب مازن : لاتقلق فانا مع المقاومة ياعمى وهم يعرفون الدور التى بها فتحات للأنفاق فقال ابراهيم : وماذا يمكننى ان اقدم بدار مهدمة ولو كان بها فتحة نفق هو الآن من الكوارث ونذر الشؤم على صاحبها.

فقال مازن : إن اهلى معك هنا فى المدرســة فإذا وافقت فستنتقل انت واهلى صحبة إلى دارك .. صحيح هى مهدمة فقد عاينتها فى طريقى إلى هنا ولكننى وجدت انه من الممكن رفع بعض الانقاض بشيئ من السرية ووضعه بشكل يؤمن من الداخل ولايكشــف امرهم لمن بالخارج وقد تأكدت من إمكانية حدوث ذلك ،، كما انك ستدلهم ياعمى على مكان فتحة النفق لتتولوا امر احتياجاتكم بطريقة انت الاعلم بها منا .. وتكون الدار لكم جميعا ماوى وسترا من العدو ان شاءالله . نظر له العم ابراهيم غير مصــدق لما يســمع فإن تم ذلك فسيكون بالنسبة له من مبهجات الحياة ان يعود إلى بيته ولو كان انقاضــا ،، وفتحة النفق هو يعرفها جيدا ويعرف كيف يتعامل معها ويعرف إلى اين تؤدى . ولكن ماذا لو انكشف

أمرنا ؟ امنحنى ياولدى بعض الوقت للتفكير وسأبلغك بقرارى بعد يوم او اثنين.

عاد مازن إلى حيث تجتمع العائلتين وحكى اهم ما كان من امر المقاومة والتوقيت المناسب لطوفان الأقصى ففوجئ بان الجميع على علم بالامر فسعد بذلك وطلب منا توعية الآخرين وان المقاومة تحقق نجاحا كبيرا ويهمها المؤازرة الشعبية من الاهالى وبالنسبة للمجاهدين فهو جهاد نصر أو استشهاد قال ذلك وهو يهم للذهاب لأبى وعمى لينهى معهما موضوع دار زنداح انتقلنا لفناء المدرسة حيث اعتدنا الجلوس حول نار الخشب الذى نشعله للتدفئة ففوجئنا بعمى يقول لأبى:

ما ريك ياحجى ياأخى أن نقوم بإتمام زواج مازن وترنيم لنشعر بشيئ من الفرحة وسط مانحن فيه من هموم واحزان انطلقت دقات قلبى فرحا فانا كنت قد نسيت او تناسيت امر الزواج وظننته مؤجلا لحين انتهاء الحرب . فكيف نشط البركان الخامد فجاة هكذا وكيف اصلا لمشاعر كهذه ان توجد

فى ظروف كهذه !! تغلبت على حيرتى بالسكوت والانصات لما ستسفر عنه المناقشة.

سكت ابى فقال عمى : لابد ان نفرح باولادنا وذرياتهم حتى فى احلك الظروف فالحياة مستمرة رغم كل شيئ ، ولابد من اجيال جديدة تواصل مقاومة العدو واسترداد ارضنا وحقوقنا ،، نحن ذاهبون ياخى وهم الباقون.

انتهت المناقشة بموافقة أبى على إتمام الزفاف واتفق ان يكون عند عودة مازن فى المرة القادمة ، وقد فاجأتنا السيدة روفيدا حين علمت بالخبر فقالت : اتركوا امر تدبير مكان سكن العروسين على ، فلدي احد مخازن المدرسة يصلح لهذا الغرض وسيساهم الجميع بما يتيسر لدى كل منهم كما نفعل فى كل مرة يجتمع فيها حبيبان بالزواج.

هل تعلمون أننى أؤيد الزواج والانجاب حتى فى احلك الظروف وقد تمت اكثر من زيجة هنا فى المدرسة فهذه ايام نواجهها بالفرح وإنجاب الاطفال ففى رأيى ان هذه هى إحدى أشكال مقاومتنا التى تجعل العدو فى حيرة من امرنا فنحن لانستسلم لاى شكل من اشكال الضعف وستسير الحياة

لاولادنا واحفادنا بجذور ثابتة وسنبقى قوة بشرية ترهب العدو وتصـيبه بالهلع ،، قوة بشـرية لايملك مثلها ولايسـتطيع وهو مايصيبه بالذعر منا ومن اولادنا حتى الصغار منهم ، افرحى ياترنيم وانت يا مازن فهذا وجه آخر للمقاومة.

وهنا أدركت وانا اسـمع هذا النقاش لما الهمنى الله بحمل جلبابى معى فقد كان ذلك لارتداؤه فى هذا اليوم.

وافق مـازن على امر زواجنـا وقـال لأبى وعمى : أنـا مضـطر للعودة الآن للجبهة و اتفقت مع العم زنداح على ان تنتقلوا إلى داره فهو متهدم ومعروف للكل ان لا احد يقيم به ، وفى الطريق سيشرح لكم العم ابراهيم كل شيئ ،، المهم هو السرية التامة فى التحرك من هنا فى الوقت الذى تتفقون عليه وترونه مناسبا لايلفت نظر احد ،، والامر الثانى ألا تخرجوا جماعة فالعدو يرصـــد حركة الدخول والخروج وهو ما قد يعرضكم للخطر ،، سـاودعكم الآن وأذهب. فقام ابى وعمى باحتضـانه وتوديعه ودعوا له بالسـلامة هو وعبد الله وياسـين وطلب منه ابى ان يحاول معرفة اخبار باسين فقال له اطمئن ياعمى فدور ياسين هو فقط حراسة الاسرى وليس بالموضوع

خطورة تذكر وسيحفظه الله من كل شر ان شاءالله قال ذلك ومضى سريعا.

فى الصــباح حضــر العم إبراهيم زنداح للحديث مع ابى وعمى فعرفهما بنفســه فرحبا به وقالا ان عائلة زنداح من اعرق العائلات بحى الزيتون وانه شرف لهما التعرف عليه ، جلس ثلاثتهم فلاحظ ابى الحزن الذى يكسـو وجهه فقال له : لما الحزن ياخى ، هون عليك فإن كان لك شهيد فدمه المسال على الارض هو مسك فى السماء وكلنا مشاريع شهداء ومن سبقنا كسب مكانة ومكان افضل منا فهون على نفسك ويكفى أننا صحبة معا ،، لتسعد ببعض الونس والامان معنا وما كتبه الله لنا سوف نراه.

ابتســم العم إبراهيم وســعد بكلام ابى وقال : تحدث معى الإبن مازن بشان دارى وأتيت للحديث معكما بهذا الشان كما اتفقت معه ، إن دارى من اكبر الدور بحى الزيتون وبه مدخل لأحد الانفاق كنا نســاعد المقاومة وكانوا يســاعدوننا ايضـا وكنا نقضـى من النفق كل احتياجاتنا من مصـر قبل ان تغلق الانفاق ، ولكننا وبمساعدة المقاومة استطعنا تغيير مسار النفق وتم عمل فتحة جديدة ضـــمن ممرات وانفاق اخرى واستمر قضاء حاجاتنا كما كان بعيدا عن باب الدار والشارع

، حتى كان ما كان من العدو فى يوم الاثنين التاســع من تشـرين الاول فقصـف دارنا ضـمن دور اخرى فى الجوار وسقطت الانقاض فوق فتحة النفق ، اضطررنا لمغادرة الدار والنزوح وتركنا الدار على ماهى عليه من تهدم ودمار ، ثم بكى وهو يقول متأثرا : اســتشــهدت زوجتى داخل الدار واخرجناها بصــعوبة من تحت الانقاض ولولا اســتمرار القصــف وصــعوبة العمل لقوات الدفاع المدنى لكنا أنقذناها ولكنه امر الله وقضاؤه النافذ. هدأ أبى من روعه فاكمل : قمنا بدفنها ونزحنا إلى هنا وكان معى ابنتى ولكنهما أيضــا استشـهدتا بقصـف الرابع من هذا الشـهر ولم يبق لى احد فى الحياة فعائلتى وابناء عمومتى واخوالى قد تفرقت بنا السـبل ولا يعرف أى منا مكان الآخر فى أجواء يوم الحشــر التى نعيشها هذه.

لن اطيل عليكم باحزانى فلا احد لديه طاقة لتحمل مزيد من الحزن.. لقد تكلم معى الإبن مازن فى امر العودة السرية

للدار وشدد الا يعلم بوجودنا هناك احد ولايشعر بحركتنا من هنا لهناك احد.

إذا يسر الله الامر لنا فهذا يعنى أننا سنرفع الانقاض شيئا فشيئا فى تكتم وسرية شديدين وإذا استطعنا رفع الانقاض فسيكون باستطاعتنا ان شاءالله قضاء احتياجاتنا من أماكن اعلمها ولدى سبل للاتصال فاتركوا هذا الامر لى ،، إن وافقتما على ذلك ورأيتما فيه حلا مؤقتا لما نحن فيه فأنا معكم وإن لم يكن هذا قرارا صائبا فلنمكث هنا حتى يقضى الله فى امرنا بما يراه وامر الله كله خير.

سكت ابى وعمى وهما يفكران فيما قال العم إبراهيم والذى استانف حديثه وهو ينظر إلينا قائلا : ولكن اخبرونى من الذى سيقوم برفع الانقاض ولا ارى معكم شباب تقوى سواعدهم على هذا العمل فكيف لكم بهذه المجموعة تحقيق إنجاز او نجاح خاصة وانا الاحظ وجود سيدة فى آخر أيام حملها على مايبدو . فاجابه ابى : كل من ترى أمامك هم رجال حين يتطلب الامر حتى الطفل الصغير الجالس هناك .. لاعليك ولاتفكر فى من سيعمل فكلنا ايدى عاملة ،، فسأله زنداح : واين زوج السيدة الحامل ؟ فاجابه عمى انها زوجة

شـهيد استشـهد فى ثانى ايام القصـف الانتقامى من الطيران الحربى للعدو وبعد مناقشة للتفاصيل اتفق الثلاثة على اختيار الوقت المناسـب وكيفية التنفيذ ، فالمدرسـة هنا ليسـت آمنة شـانها فى ذلك شـأن كل مكان فى غزة فلا مكان آمن الآن ،، قال ابى : إذن فليكن مقامنا داخل احد دورنا او أنفاقنا فمهما صـعب الامر لن يكون اصـعب منه هنا .كان ذلك فى يوم الخميس السادس عشر من نوفمبر/تشرين الثانى وقد استيقظنا عند السادسة صباحا من صباح الجمعة على دوى انفجارات فقدنا معها السـمع ودارت رؤوسـنا عاجزة عن التحمل فقد قامت الطائرات الحربية الاسرائيلية بقصف المدرسة ،، يا الله يا الله ادركنا يارب عجزنا جميعا عن اسـتيعاب الامر فضـلا عن التصـرف فاشـلاء الشـهداء متناثرة والمصـابين يتألمون ويصـرخون حولنا وقوات الاحتلال تمنع دخول الإسـعاف والدفاع المدنى كالعادة وبينما نحن على هذه الحال اسـتطاع احد النازحين ويعمل مسـعف ان يتواصـل مع قناة الجزيرة وتحدث عن المجزرة وان جنود الاحتلال فى الخارج تمنع وصـول سـيارات الاسـعاف والدفاع المدنى وأشـرك معه فى المكالمة عدد من المصـابين حكوا لايمن عزام مذيع قناة الجزيرة عن المجزرة وعن الشـهداء والمصـابين ونحن نرى

الحال باعيننا وندعو الله ان يستجيب احد وان يسمح بدخول من ينقذنا فالمصـــابين يتوجعون والامهات تصـــرخ والجثث امامنا اشلاء مبعثرة .. الوضع بالكامل اصابنا بوجع لن ننساه ما حيينا ثم سمعنا الرجل يصرخ وهو يقول باعلى صوته (منشان الله نحنا مسلمين ونموت بالبطيئ اغيثونا أغيثونا) ثم انهار وسلم الموبايل لغيره استنفارا للإنسانية وكان التاثر والحزن باديا تماما على صوت المذيع ايمن عزام ويبدو ان هذه المكالمة كانت السبب فى دخول سيارات الإسعاف والدفاع المدنى الذين تولوا امر جثامين الشهداء او بالاحرى الاشـــلاء والمصـــابين لعلهم يجدون فرصـــة للحياة .وقفنا والدموع متجمدة فى عيوننا ويبدو ان الدموع قد كتبت كل شيئ هنا ونحن على ذلك من الشاهدين.

وقد سمعنا بالراديو انه كان قد تم قصف مدرسة اخرى تابعة للاونوروا هى مدرســـة الفاخورة ما دعا الامين العام للأمم المتحدة انطونيو جوتيريش ان يعرب عن صـــدمته بتعرض مدرستين للقصف فى اقل من اربع وعشرين ساعة واكد على حرمة هذه المنشآت ،، وكذلك فعل فيليب لازارينى المفوض العام للاونوروا وقال انه شاهد برعب شديد تقارير عن هجوم مدرســة الفاخورة واليوم مدرســة الفلاح فى حى

الزيتون مشيرا لوجود اربعة آلاف نازح فى المدرسة فى هذا الوقت وان هناك اصـــابات وقتلى كثيرين قتلوا وهم يحتمون بمدارس الاونوروا.

كان يوما من أحلك وابشـع ما رأينا وقد خسـرنا فيه إبنة عمى ابية وكانت فى شـــهرها الاخير فى الحمل ولحكمة لايعلمها إلا الله فقد ولدت صـبيا فى لحظة وفاتها ما جعلنا نقول سـبحان من يخرج الحى من الميت والغريب ايضـا ان الطفل ولد ســـليما وفى تمام العافية وكانه ولد فى اكبر المستشفيات بأحسن ظروف وافضل رعاية ،، كما اصيب فى هذا القصـف ابن عمى عزام الصـغير إصـابة بالغة فى إحدى قدميه ولانعلم ماذا سيكون مصـيره فهو بحاجة عاجلة للعلاج الذى يستحيل في الظروف الحالية.

مضـــت ثلاثة ايام ونحن فى هذا العذاب المهين لانعرف الليل من النهار وكنا قد نظفنا مع باقى النازحين آثار الدماء والدمار ثم اعدنا حاجياتنا إلى أماكنها وقضـينا معظم الوقت فى ما نسـتطيع تقديمه من الاعتناء بالمصـابين فلاشـيئ لدينا حرفيا لنعالج به احدا ولاحتى ضـمادات وقد كان معنا طبيبا ومسعف ولكن لا امكانيات ولا احد منا يعرف طريقة يتجاوز بها ثقل هذه الايام التى خنقت ارواحنا وقلوبنا وكاننا فى

معتقل من معتقلات العصـور الوسـطى ولا سـبيلا امامنا للفرار،، تركنا الامر لله موقنين أننا لن ننجو بحسـن تقديرنا ولكننا ننجو بالطاف الله وان رحمة الله رافعة لكل ثقل.

وكأن الامر كان فى حاجة لمشـكلة اخرى فقد ظهرت إحداها أمامنا وهى الطفل الذى تركته أبية ابنة عمى والذى لم يحمل اسما حتى الآن ، وكلما نظرنا إليه شعرنا بالعجز عن توفير اى شيئ لإرضـاعه ليشبع ويكف عن البكاء ،، بحثنا عن سيدات بين النازحين لديهم رضع فلم نجد وبقينا نسقيه ما يتيسر وهو قليل ولكن للحق وكأن الطفل كان على علم بالحال فكان كالنسـمة الهادئة لايبكى إلا حين يجوع فقط عكس كل ماعرفنا من الرضع حديثى الولادة.

كان عمى وزوجته فى حالة نفسـية سـيئة جدا بعد ارتقاء أبية فنادينا عليهما لنجلس جميعا ونتداول امرنا وماذا سـنفعل فى هذه الايام التى لانرى فيها اى شعاع للامل ،، كان قد مر أسبوع على المجزرة الاخيرة وكنت اقف بفناء المدرسة أقوم بنتظيف المكان الذى نجتمع ونجلس فيه خارج الفصـول فإذا بى اجد مازن يقف امامى وهو يبشـرنى بأن لديه ثلاثة ايام سـيقضـيها معى بعد أن نعقد قراننا فقد بدأت اليوم اربعة ايام

لهدنة بين الطرفين وذلك لتبادل الأسـرى وانه اسـتأذن من القيـادة لعقـد القران فسـمحوا لـه بـذلـك على أن يعود بعد ثلاثة أيام.

كنت اسمع مايقول وانا لم استجمع شتات نفسى بعد حتى رآه عزام وأخبر الجميع فجاءت السيدة رفيدا وانضمت لجمعنا وهى تقول : انا لم انس موضـوع زواجكما ويمكنكما الزواج الآن لو اردتما فالمكان تم تنظيفه وفرش بما تيسـر فأخبرها عمى : بارك الله فيك يابنتى ولنزوجهما غدا إذا قدر المولى.

قضيت الليل وانا يقظة ولم يغمض لى جفن وكأن مايحدث لايخصنى ومضت حياتى السابقة كشريط امام عينى قبل ان تنقلب راسا على عقب ويصبح الحال غير الحال وكأن هناك من اختطفنى من دنياى واصاب راسى بضربة لم افق منها حتى الآن ، ولكن لأنسى كل هذا فقضاء الله كله خير ، كما ان حلم عمرى سيتحقق غدا فلافرح ولأرمى الحزن وراء ظهرى ولو مؤقتا فقط ، وقبيل الفجر استسلمت لنوم عميق ايقظتنى منه خديجة فوجدت أننى وحدى بمكاننا فقد خرج الجميع للاسـتعداد للعرس ،، قمت وانا سـعيدة لاخرج جلبابى فإذا بخديجة تقول انها اخرجته وجهزته واحتضـنتنى وهى تقول :

الجلبـاب ينتظر اجمـل عروس فلترتـديـه يـاأختى فـالجميع ينتظرون فى قاعة الاجتماع للاحتفال بكم سـاسـبقك اسـتعدى وسأعود إليك ثانية.

حمدت الله اننى وحدى الآن وقد كنت بحاجة لذلك لاسـتعد ..ثم قمت إلى جلبابى وغطاء الرأس فارتديتهما ووضـــعت بعض مســـاحيق التجميـل الخفيفـة التى كنـت قـد ارفقتهـا بالجلباب، حتى أتى أبى وعمى ومعهم مازن وذهبنا جميعا إلى قـاعـة الاجتمـاع لنجد الجميع فى انتظـارنـا بـالزغـاريد واغانى الفرح الجميلة من تراثنا الغزاوى والتى نستدعيها فى مناسـباتنا. لم يكن متاحا هنا إلا إشـهار امر زواحنا فقط ولا اكثر من ذلك فلا عقود ولاتوثيق ولا اى تعاملات رسـمية او حكومية منذ السابع من تشرين الاول . وقفنا جميعا فى القاعة حوالى ســـاعة نتلقى التهانى من الحاضـــرين ثم ذهبنا إلى حجرتنا او المخزن الذى قدمته لنا الســـيدة روفيدا فى زفة بالطبل على الاوانى والزغاريد.

قضـينا ليلة من أجمل ليالى العمر كنا فيها وكأننا انفصـلنا عن العالم وأصـبحت لنا دنيا وعالم لنا وحدنا ، وبدا كل شـيئ جميلا حتى العدو سـكن إجرامه فى هذه الليلة فلم نسـمع له

صوتا . مضى الليل سريعا وجاء الصبح ومعه أهلنا للتهنئة ومعهم بعض الحلوى كان ابى قد خرج خلسة وقام بشرائها وقد ضحكنا وهو يقول انه كان وكأنه يطلب ممنوعات علاوة على المغالاة الشديدة فى ثمنها ثم تدارك الامر قائلا : لم اقصد يا اولادى انا فقط اتعجب انه فى مثل ظروف كهذه ويكون هذا الاستغلال من البعض ولكن طبعا لو اغلى من ذلك كنت ساحضرها أيضا ثم قال وهو يحتضننى : مبارك ياابنتى مبارك زواجكما يامازن ياولدى وبالرفاء والبنين ان شاءالله .. وهكذا فعل عمى وزوجته ،، هنأنا الجميع وعادوا إلى فصولهم وبقيت مجددا مع رفيق الروح وانا اتمنى أن يقف الزمن بنا هنا ولايمضى ، ولكن هيهات فقد انتهت اجازة مازن وسيعود للجبهة اليوم .. ذهب ليسلم على ابى وعمى وجلست وحدى فى حجرتى او مخزن المدرسة ابكى فإذا به يعود سريعا ويحملنى فجاة بين يديه ويدور بى ،، وما اسرع ما نسيت الحزن والبكاء وعشت لحظات طالما حلمت بها مع زوجى وحبيب عمرى وتعجبت من امر نفسى فقد عادت لى افكارى التى تلومنى وكأننى استكثر الفرحة على قلبى المتيم ، فكيف لى بمشاعر كهذه وسط ما نحن فيه !! ولكننى اكتشفت

ان الله له حكمة فى ذلك وقد جعلها ترياقا ونقطة ضوء تهدى الروح لسكينة تمدها بالقوة فتجابه أعتى موجات الحزن والغضب والقهر ، احتضننى مازن وربت على شعرى وقبلنى وهو يقول : طبعا ياروح الفؤاد تقدرين الموقف وتدركين انه سيكون لنا اوقاتا كثيرة معا ان شاءالله ولكن الآن الامر المقدم على كل امر هو الدور المقدس حتى نتحرر مما نحن فيه وساعتها اعدك بأن لافراق بعدها ان شاءالله ،، أليس كذلك ياترنيم!! ؟

تشبثت بعناقه وانا اقول : احببتك طفلة وشابة وزوجة وطول عمرى ساحبك ويكفينى ان حلم زواجنا قد تحقق ولن اطمع فى اكثر من هذا ، فلتذهب يازوجى البطل وليعيدك الله سالما غانما ان شاءالله.

ذهب مازن وجلست أفكر فى أمر الحب والعشق وما يفعله بالنفس فيرى العاشق الدنيا من منظور آخر ،، فكان الحب لى طاقة قوة ونور وكان هبة إلهية وكان وكأنه اشتد وزاد مع الطوفان فاحدث بداخلى ملحمة كبيرة ابطالها هم الحب والعشق والكراهية لمن ضيق علينا الحياة ،، اجتمع الضدان بداخلى فى تنور يفور هنيهة ويهدأ الاخرى حتى امتزجت كل

هذه المشاعر واخرجت من داخلى المارد الذى لايخشى شيئا ويستطيع الدخول فى اى معركة بيقين النصر ولو بشكل مؤقت او مرحلى.

غادر مازن وهو يؤكد علينا أمر الانتقال لدار زنداح لحين تدبير ماوى آخر للتوجه إليه فالمدرسة لم تعد تصلح للإيواء.

بعد مضى ايام ، جلسنا نفكر ماذا سنفعل فالعم إبراهيم قد استشهد فى القصف الاخير ، وكان مازن قد اخبرنا أن خطتنا كما هى ،، أدركت أنه بإمكاننا الذهاب فالدار موجودة والعم كان راضى قبل استشهاده عن نزوحنا اليها فماذا سنفعل! ؟ سالت أبى ففكر واجاب : لاطريق امامنا إلا هذا الآن وعلينا تدبر امرنا فى الذهاب فرادى متفرقين وفى سرية تامة فجنود الاحتلال يقفون كالضباع بالخارج متربصين بكل داخل للمدرسة او خارج منها ففترة الهدنة التى امتدت لسبعة ايام قد انتهت امس وسيعود اطلاق النار من السابعة من صباح الغد الثانى من ديسمبر / كانون الأول ..وقد اتفقنا على ان يخرج الجميع فرادى وان يبقى الطفل مع آخر شخص وتم الاتفاق على تكون مسئولية الاعتناء به مسئوليتى انا وابنة عمى اشجان باعتبارنا الاكبر فى الابناء فيبقى الرضيع معنا بعد ان يتحرك الجميع ولحسن الحظ ان أغلبنا يعرف دار زنداح فهى

من الدور المتميزة فى الحى او التى كانت ، علنا نجد الفرج هناك وشيئ من الامان وعبد الله ومازن سيعرفون بالتاكيد اننا هناك.

فى المساء بدانا تنفيذ التحرك وبدا الامر بأبى الذى تحرك بحرص شديد ولحسن الحظ لم نسمع صوت طلقات الرصاص فى الخارج فهم إذن لم يروه ،، ثم تحرك بعده عمى بنفس البطء والحرص ويبدو انه نجا ايضا فحمدنا الله ودعونا ان يصلا بالسلامة.

بعدها بساعة تحركت زوجة عمى ومعها ابنتها ترف وكررنا عليهما تعليمات الامان وان عليهما العودة لو شكا بوجود احد بالخارج وان عليهما السير فى طرق مظلمة فالطائرات لا تكل من التحليق فى السماء بحثا عن افراد المقاومة ويضربون فى سبيل ذلك اى هدف متحرك والدبابات والمركبات تتحرك بجنون فى كل مكان ،، يبدو ان رعاية الله تحيطنا ويبدو انهما خرجتا بسلام ، لكنهما لاتعرفان دار زنداح فهما من سكان الدرج فاتفقنا معهما قبل التحرك ان تنتظرانا على الطريق فى مكان آمن ومظلم حتى نصل إليهما إن قدر لنا ذلك ، لكن بعد خروجهما باقل من نصف ساعة

فوجئنا بكشاف نور قوى يسطع ويكشف محيط المدرسة فدقت قلوبنا خوفا من أن يكون قد اصـابهما مكروه فانتظرنا لاكثر من سـاعتين حتى هدات الحركة وكانت على الاغلب مجرد نوبة اسـتطلاع عادية، خفتت الإضـاءة فجلسـنا نتدبر من سيخرج الآن وكان من بقى هو انا واختى خديجة وبنات عمى اشجان وخيرات والصغير عزام المصاب والذى يتالم ويبكى طوال الوقت وهذا بإمكاننا السيطرة عليه ولكن المشكلة الاكبر هى الرضيع فكيف سنسير به.

وبينما نحن فى افكارنا هذه حضر إلينا السيد عبد الرحمن المرزوقى الموظف بالمدرسـة فى مروره اليومى فلاحظ غياب من خرجوا من مجموعتنا وحين سـالنا أجبته : تعلم وترى بنفسك أننا هنا غير آمنين وقد بحثنا عن ماوى ووجدناه فأبدى تعاطفه معنا وهو كسـير حزين وسـأل ان كان فى استطاعته تقديم مساعدة لنا فاخبرته بإصابة ابن عمى وكان يعلمها وعن بكاء الرضيع وسالته ان كان بإمكانه توفير بعض الاعشـاب له تكون مهدئة او حتى مخدرة حتى نتجاوز فقط بوابة الخروج وبعدها سنتصرف فقال انه سيسأل السيدات فى المدرسة وسياتى لنا بالرد ، بعد قليل عاد إلينا ومعه سيدة فى منتصـف الخمسـينات تقريبا يبدو عليها المرض الذى يبدو

ايضــا انها تتحمله مع بنيتها القوية رحبنا بها وســالتنا عن مشكلة الولد والرضيع فاجبنا بصراحة بما ننويه وسالناها عن حالها فقالت :انا من ســكان حي تل الهوى المجاور لحي الزيتون وقد نزحت إلى هنا أنا و زوجى فقط فنحن ليس لدينا اولاد ولم يقدر الله لنا نعمة إنجاب اطفال وقد استشهد زوجى بعد ان انقذنى فى قصف الرابع من نوفمبر / تشرين الثانى ، والآن أنا وحيدة فى هذه الحياة فإن أذنتم لى بان انضــم إليكم اكون ممتنة لكم فانا مريضــة بالكلى وأعانى من نوبات آلام شــديدة ولذلك فانا احمل معى بشــكل دائم خليط من الحبوب المســكنة والأعشــاب المهدئة التى يمكننى اســتخدامها لعزام لتسكين الألم وللرضيع وسينام طول الطريق ان شاءالله.

قمت إليها ممتنة واحتضــنتها وانا اشــكرها فقالت : انا فى الأصل ممرضة متطوعة فى جمعية الإغاثة الطبية الفلسطينية وبإمكانى تقديم المساعدة لمن يحتاج بقدر استطاعتى.

كانت كالفرج والفأل الحسن بالنسبة لنا وسالتها عن اسمها فقالت حليمة فقلت لها : على الرحب والســعة معنا ياخالة حليمة وجلســنا معا نفكر كيف ســتكون خطوتنا التالية بعد ان اخبرنا الخالة بالامر كله ، فأشــارت علينا اولا أن نجهز العشــبة للرضــيعة ثم ناولتنى حبة مسكنة لعزام وذلك بعد ان قامت بوضــع قطعة من الخشــب ســندت بها ســاقه المصــابة

وثبتت مكان الأصـابة وطلبت منى اى قطعة قماش او غطاء رأس ،، اتيتها به فقامت بربط الجرح له بطريقة احترافية ثم لفت الرباط حول قطعة الخشب أيضا.

قامت اشـجان وخديجة لجمع بعض الاخشـاب لنشـعلها ونغلى الاعشاب للرضيع ، جلست معنا الخالة حليمة وأخذنا الحديث لذكر القصف الأخير هنا فقالت : هو ليس بجديد على فمعاناتى تمتد لسنوات طويلة نظرا لطبيعة عملى ولكن هناك قصف لا انساه حدث حين كنت اعمل بشكل مؤقت بمستشفى المعمدانى .بحى الزيتون والذى تم قصفه فى فى ساعات الليل الاولى ليوم السابع عشر من اكتوبر /تشرين الاول اى بعد عشـرة ايام فقط من بدء الطوفان وكانت قوات الاحتلال قد طلبت إخلاء المسـتشـفى قبل القصـف بثلاثة ايام ولما كان يستحيل ذلك فقد رفض الاطباء لأن المستشفى به علاوة على المرضـى عدد كبير من النازحين الذين يحتمون به ، ولكن وللاسـف فوجئنا فى السـاعة السـابعة مسـاءا بغارة جوية بالطائرات الحربية على المستشفى فأصابت ساحة المستشفى وكانت وقت طلب الإخلاء قد قامت بقصـف مبنى العيادات الخارجية ومركز تشـخيص الاورام . توقفت الخالة حليمة وهى تبكى تأثرا بما كان فقمت بتهدئتها قائلة : سمعنا عن هذه

المجزرة المروعة وأخذتها لموضوع بعيد عن الحرب فسالتها عن الجهة التى تتبعها المستشفى وانا اعلمها فقالت أنها تتبع الكنيسة الإنجليكانية بالقدس واسمها المستشفى الاهلى ولكنها معروفة اكثر بالمعمدانى تعرفينها طبعا اجبتها باننى اعرف كل مستشفيات الحى ولنا طبيب يعمل مديرا لمستشفى دار الشفاء هو الدكتور عدنان البرش . ولكن ياترنيم المثير للسخرية هو ما اعلنته قوات الاحتلال بعد القصف حيث اعلنت ان من قام بالقصف هى حركة الجهاد الاسلامى وانها قامت بقصف المستشفى بصاروخين ، وقد ردت الحركة سريعا ببيان بالنفى ليعلن جيش الاحتلال بعدها أنه هو من قام بقصف المستشفى لاشتباهه بوجود افراد للمقاومة بداخلها وان ضرباته كانت دقيقة وتمت باحترافية . سألتها : وهل كانت اعداد الشهداء والمصابين كثيرة فى هذا القصف؟ فقالت وفقا لبيان وزارة الصحة الفلسطينية فعدد الشهداء كان: أربعمائة وواحد وسبعون شهقت شهقة عالية من هول العدد فاكملت الخالة : وكان عدد المصابين ستمائة شخص ولكن فى الواقع وما رأيته بعينى فى هذا اليوم أن الاعداد غير دقيقة وانها تتخطى ذلك بكثير فقد كان هذا المستشفى آمن على طول فترات الصراع ، وبعد الطوفان نزح إليه عدد كبير

ممن اجبروا على ترك ديارهم ، وقد تركز وجودهم فى ساحة المستشفى التى تركز فيها القصف للاسف.

أنهى هذا الحديث الخانق عودة خديجة واشـــجان بقطع صغيرة من الخشب وجلستا لإشعالها.

نظرت للخالة حليمة فلاحظت شرودها فقلت : يا خالة ابقى معنا ولا تذهبى بعيدا فقالت : تذكرت أنه بعد ســاعات من مجزرة المسـتشـفى وصـل الرئيس الامريكى جو بايدن فى زيارة عدة ايام وأعلن انه جاء لتقديم ما أســماه (بتقديم المساعدة والدعم للشعب الإسرائيلى) واقيم مؤتمر صحفى له بالإشتراك مع مجرم إسرائيل ورئيس وزرائها بنيامين نتنياهو وقال بايدن فى المؤتمر أن حماس ارتكبت فظائع فى اسرائيل وأنه يؤيد الرواية الاســرائيلية فى مجزرة المعمدانى وقال (يبدو أن الجانب الآخر وراء الانفجار وليس أنتم).

كانت النار قد اشــتعلت فأخرجت الخالة حليمة كمية من الأعشــاب ناولتها لأختى لتغليها وجلســت بعد أن شــربت الرضيعة وتناول عزام الحبة المسكنة وشرب ايضا من مغلى

الاعشـاب وقالت : طرقت بابك ياكريم راجية والحال لايخفى وأنت عليم.

جلسنا نستدفئ بنار الخشب التى بدات تخبو واصبحت هادئة مثل نار الفحم ، فى انتظار ان تنام الرضيعة وان يخف ألم عزام حتى يستطيع السير معنا وكانت الخالة حليمة قد صنعت ايضا من قطعة من الخشب عكازا ليستند عليه عزام فى سيره.

بعد مضى نحو نصف ساعة ذهب الرضيع فى سبات عميق وبعدها بنصف ساعة آخر بدأ عزام يشعر بتحسن ولما سالته : هل ستستطيع السير هكذا ؟ وقبل ان يجيب قلت له مطمئنة : لاتقلق فسواعدنا معك ولن نتركك لحظة فاجاب الصغير : بل سأسير بعكاز الخالة حليمة ولن أصدر صوتا مهما كان الألم ولن اكون عبئا ان شاءالله فالالم الآن أصبح أقل بعد أن ثبتت الخالة قدمى بقطعة الخشب .

قمنا نلملم حاجاتنا وكان كل من خرج قد حمل جزء منها ، كما ذهبت الخالة حليمة لإحضار حاجياتها من الفصل الذى تقيم فيه واتفقنا على أن نتقابل عند بوابة المدرسة من الداخل.

لمحنا السـيد عبد الرحمن فأتى إلينا مسـرعا محذرا من عاقبة الخروج بكل هذا العدد ، وأنه من الافضل الخروج فردا فردا على أن نتجمع فى مكان قريب ، وهنا تذكرت أن زوجة عمى وابنتها ترف تنتظراننا فى الطريق ،، وجاءت الخالة حليمة واقترحت ان تقوم هى باصـطحاب الرضـيع وكانت مسئوليته قد انتقلت من الخالة فريحة لها والخروج به اولا ثم يتبعها عزام وسـتكون بانتظاره فى اقرب نقطة للمدرسـة وتتحرك بعده أشجان بعد ذلك ثم خيرات واخيرا أتحرك انا.

وافقنا على ماقالت وقمنا بلف الرضيع بما استطعنا لبرودة الجو الشـديدة ، فحملته الخالة وخرجت ووقفنا ننتظر وندعو الله أن يظل الصـغير فى سـباته ، نظرنا نتابعها من فتحة صغيرة بالباب الحديدى للمدرسة ، فخرجت بسلامة الله وجاء دور عزام فسألته ثانية إن كان بإمكانه السير بمفرده فأجاب : لقد وصلت بصعوبة شديدة لم اكن اتوقعها من الفصل إلى هنا رغم أننى كنت اسـتند على ذراع اشـجان ، وهنا كنت مضـطرة بعد ما قال والالم البادى عليه لتغيير ما اتفقنا عليه وقررت ان تخرج معه أشجان ثم تخرج خديجة ثم خيرات ثم أخرج انا . خرجت اشـجان وعزام يسـتند على ذراعها من المدرسـة ونحن ننتظر وننظر من فتحة الباب وندعو لهما

بالســـلامة .. عبرا بامان من مكان هادئ ومظلم كما نبهنا عليهما ، المفاجاة بعد ذلك كانت رفض خديجة الخروج وحدها اخبرتنى بذلك وهى ترتجف فطلبت من خيرات ان ترافقها وان يخرجا سويا على ان الحقهما ، ولحقتهما بالفعل وبعد مسافة قصيرة وبجانب ركام مظلم قابلتنا الخالة حليمة ومعها اشـــجان وعزام وعند ركام آخر قابلنا زوجة عمى وترف ، وبدانا جميعا بالتحرك باتجاه دار العم زنداح ولسوء الحظ فإن الدار كانت بعيدة فهى تقع فى شارع صيام القريب من حى جحر الديك ، مشينا ببطء ثم اقترحت اختى أن ننقسم إلى مجموعتين وانها ستبقى مع زوجة عمى واتفقنا ان تكون المجموعتان كالتالى : المجموعة الاولى وتشـــمل خديجة وزوجة عمى والخالة حليمة ومعها الرضـــيع وابنة عمى خيرات وتشمل المجموعة الثانية : انا وعزام و ابنتى عمى ترف واشجان.

طلبنا منهم ان يتحركوا اولا لان حركتنا ستكون ابطأ منهم مع إصابة عزام.

فى الطريق كنا وكأننا نسير فى حى غير حينا او بالاحرى هذا مكان مجهول لانعرفه ،، النازحين فى جميع الاتجاهات

لا احد يعرف يقينا اين يذهب والكل يلهث بحثا عن مأوى يختبئ به مع عائلته أو من بقى منها بعيدا عن القصف.

بعد معاناة وصلنا متأخرين لنرى الزيتون مليئة بالدبابات ومركبات الجنود بعد الاجتياح البرى .. ولنجد الجميع ينتظروننا بقلق بالغ وكانت الدار من الخارج مهدمة وتبدو مهجورة وكان اصحابها هجروها من سنوات لا من اسابيع فقط .. وحين دخلت وجدت ان ابى وعمى قاما بمجهود كبير لرفع بعض الابواب الخشبية والالواح وماشابه فى انقاض الدار إلى جانب ما استطاعوا من قوالب الطوب وأقاما لنا مايشبه المخبأ او مايشبه السقف المقبى وطلبوا منا المساعدة فى تغطية ذلك كله من الخارج ببعض الانقاض مايعطى انطباعا بانها دار مهدمة ومهجورة تماما .. دلفنا إلى الداخل وبعد استراحة بسيطة بدانا العمل بهدوء أشبه ما يكون بالسكون فى وضع الانقاض بقدر استطاعتنا على ان نقضى الليلة كيفما اتفق ونواصل العمل فى الصباح الباكر ، وكان ابى يحمل كشافا صغيرا وضعناه فى مكان لايبدو فيه نوره من الخارج فغزة منذ الاجتياح البرى فى السابع والعشرين من تشرين الاول أصبحت كلها فى متناول يد قوات الاحتلال يعيثون فيها فسادا وقد تملكتهم وسيطرت عليهم تماما فكرة

ان المدنيين يعملون مع المقاومة وعلى ذلك فلا رحمة بهم ولاهوادة وأصـــبحت الحركة غير المحســـوبة قد تكلف صاحبها حياته واصبح لزاما علينا توخى الحذر بزيادة عشر مرات عما كنا عليه قضـينا الليلة الأولى لنا بدار العم زنداح وتقريبا كنا جميعنا قعودا (فيما عدا عزام)فهذا اقصى مايسمح به الوضـع فى الدار ولكن حدث ما أدهشـنا جميعا فقد تملكنا جميعا شعور واحد وهو أن ارواحنا وجدت شيئا من الراحة و الأمان هنا كنا نلهث بحثا عنه منذ ان بدأت العملية الانتقامية للعدو التى اطلق عليها الســـيوف الحديدية ،، وكأن هناك رابطة غير مرئية بيننا وبين أحجار ديارنا واصـــبح حى الزيتون وباقى احياء البلدة القديمة بل وغزة كلها وكانها دارا كبيرة لنا يضـمنا دفؤها وامانها ،، صـحيح ان أزيز الطائرات الحربية واصـــوات جنازير دبابات العدو لاتفتر ولاتهدأ ، ولكن حتى هذا وقعه علينا هنا مختلف بشـكل ما ، وهم على كل قوتهم وجبروتهم لايدركوننا ونحن على بعد امتار منهم فهم يألمون بعمليات المجاهدين والتى تتم أحيانا من المســافة صـــفر ، ونحن نألم لما نحن فيه من التشـــريد والمطاردة والخوف ولكننا نرجو من الله ما لايرجون .. وهم بكل مالديهم ففى كل مرة يفاجئهم صعود مجاهد من فتحة نفق او من خلف

جدار متهدم وهم لايتخيلون أن أحدا يتخبئ داخل هذه الكيمان والأنقاض.

وجبرا لخاطرنا ونصـــرة للحق فقد حدث ان قدمت دولة جنوب افريقيا دعوة امام محكمة العدل الدولية تتهم اسـرائيل بممارسـة الإبادة الجماعية ضـد شـعب غزة وسـنشـهد جلسـات المحكمة والتى ستكون اغلب الظن على الهواء .

نعود الآن لحالنا فى دار زنداح حيث تم التعامل باحتراف ومهنية ومهارة مع الانقاض لتامين الدار ويعود ذلك لخبرة ابى الكبيرة فى المعمار وعمى كذلك عند الحاجة فجدى كان من كبار البنائين فى غزة ، ما كان يؤرقنا هو صـــوت بكاء الصغير الذى لم يحمل إسما حتى الآن ماجعلنى أقول لعمى : اختر اسمك لحفيدك الجميل ياعمى عسى ان يرزقه الله الخير ويجعلها من الصـــالحين ، ابتسـم عمى وهو لم يفعل من فترة وحمل الطفل وقال : اسـميه اياد على اسـم بطل من المجاهدين كتب الله له الشـــهادة وادعو الله ان يســـتكمل دوره وعلى يديه واقرانه يتحقق النصر .. وان يعيش فى سلام وان تكون ايامه

آمنة فى وطن آمن . ابتسمنا جميعا شاعرين بالبشر والتفاؤل من الاسم الذى اختاره عمى.

اتفقنا أن تكون الخالة حليمة وبناء على طلبها هى المسئولة عن اياد وكانت وكانها قد حققت امنيتها بان يكون لديها طفل ، إلى جانب متابعة إصابة عزام ، وعلينا باقى الأعمال ولكن بقيت مشكلة توفير احتاجاتنا من الطعام والشراب فكيف سنقضيها وكان العم زنداح قد طمأننا من هذا الجانب ولكنه ليس معنا الآن رحمه الله فماذا سنفعل إذا خرج أى منا سيقابل جنود الاحتلال ويقابل منهم إما بالاشتباه او الاعتقال أو حتى الضرب بالرصاص إذا أبدى مقاومة او تصرف بشكل لم يعجب الجنود الذين يفعلون كل ذلك بحجة البحث عن أفراد المقاومة والذين يطلقون عليهم الجماعات الارهابية.

وفى الصباح اكتشفنا وجود فتحات صغيرة من شأنها كشف الموجودين بالداخل فقام والدى بتغطيتها فجنود الاحتلال يتجولون داخل البيوت المهدمة ماجعل ابى يزيد من اعداد الطوب فى الخارج بمايوحى ان لاشيئ تحتها.

بدأنا بعد ذلك فى البحث عن فتحة النفق فقضينا النهار بطوله فى نقل الأنقاض من مكان لمكان حتى وصلنا فى النهاية لغطاء من الحديد ثبتت فوقه بلاطات من الموزاييك ، قمنا بتنظيف المنطقة حول الفتحة ووجه ابى كشاف النور إلى

الداخل فوجد سلما حديديا مثبت فى جدار الجزء العمودى من النفق الذى لم تصـــل الانقاض إليه لوجود الغطاء الحديدى فحمدنا الله على ذلك ، نزل ابى الى النفق لاســتطلاع الأمر ووقفنا جميعا فى الاعلى ننتظره ، غاب لاكثر من ساعة فقرر عمى اللحاق به فغاب هو الآخر لنصـف سـاعة اخرى ونحن فى سكون لاستطيع اصدار اى صوت والنداء عليهم ولا أن نتحمل الانتظار ، إلى أن فوجئنا بهما عائدان ومعهما مفاجأة جعلتنا نفتح أعيننا غير مصـــدقين فقد كان معهم مازن ، لم اصـــدق ما ارى وكتمت صـــوتى بيدى خرجوا ثلاثتهم من النفق وجلسـنا حولهم لنسـمع ماكان من امرهم داخله ، كان معهم بعض التمر وبعض الماء وزعناهما علينا وجلســـنا لنسمع فاخبرنا مازن الذى قال : انا شبه مقيم بالجانب الآخر من النفق مع اثنين من المجاهدين وننفذ من خلاله مانكلف به من عمليات من مسـئول خليتنا العقدية فى كتائب الشـهيد عز الدين القسام ، واننى حين اخبرتكم عن دار العم زنداح كنت قد اسـتأذنت لإحضـاركم هنا بعد القصـفين المتتابعين اللذان تعرضـت لهما مدرســة الفلاح وقال : قوبل طلبى بالموافقة ولكن بشـكل مؤقت ولايام قليلة حتى تدبير امر ملاذ آخر او النزوح إلى رفح.

أخبرت مازن أننى استطيع المشاركة فى العمليات بأى دور وصاحت اختى وبنات عمى بأنهم يرغبن كذلك فى المشاركة فرفض مازن الفكرة وقال : إن ماتقومون به الآن هو عمل شاق يتطلب سرعة حركة وبديهة حاضرة والتصرف بحكمة وقت التعرض لأمر مفاجئ فحاولوا دائما الحفاظ على ثباتكن الانفعالى حتى إذا ما جد جديد وتم تكليفكن باية مهام تؤدونها كما ينبغى دون اى خطر عليكن.

قررت تأجيل طلبى بالمشاركة وسألت مازن : لقد سمعت عن الانفاق ولكننى لاول مرة أكون بهذا القرب من احدها فقال : اتعرفين ، انا اعتبر هذه الانفاق رزق من الله بارك الله فى حماس حين تولت تسيير الاعمال فى غزة فى العام ألفين وستة فقد وجدوا ان العمل فوق سطح الارض غير مجدى مع عدو يتميز بالوحشية وغطرسة القوة وانه لابد من مكان آمن بعيدا عن الأعين لايمكن توقعه او الوصول إليه واستوحوا فكرة الانفاق من انفاق فيتنام فى مقاومة الامريكان ،، وقد كانت الانفاق موجودة قبل ذلك على نطاق محدود ومن أحدها خرج المجاهد الذى اسر الجندى الاسرائيلى جلعاد شاليط فأجبته : لنا قريب لأمى خرج من سجن الاحتلال فى صفقة التبادل هذه مع جلعاد شاليط وانا أتذكر هذا اليوم رغم أننى كنت طفلة صغيرة.

والآن يازوجى اريد ان توافق على ان أمشـــى لبضـــع خطوات داخل النفق لاكون فقط قد نزلت إليه ومشيت فيه.

ضـــحك مازن وطلب منى الانتظار حتى تتم الموافقة واردف : كل خطوة هنا محسوبة ومدروسة وان عمى حين نزل إلى النفق دون تنسيق كان الإخوة على وشك التعامل معه ولكنه نجا فى اللحظة الأخيرة وقد توقعت ان ينزل ابى بعد ان يتأخر عمى ولذلك فقد ابلغت بســـرعة عن احتمالية وجود شـــخص آخر وأتيت معهما لأتلو عليكم تعليمات الامان والتواجد هنا .. كما تعلموا جميعا فإن الموافقة هى ان تمكثوا هنا لايام فقط لانريد فيها إحداث اى مشـكلات واعلموا انكم هنا فى حال وفى الخارج حال آخر مختلف تمام الاختلاف.

تدخلت الخالة حليمة بعد ان عرفناه بها وقالت : لا تقلق ياولدى فأهلك فى رعاية الله وانا بعونه لن اقصر معهم فالحمد لله لدى خبرة كبيرة فى هذه الاجواء ثم ضـحكت وسـالته هل انت خال اياد ؟ فقال بتعجب وكان قد نسـى امر الوليد من اياد ؟ فأجابته وهى تناوله له : هو ابن اختك ابية رحمها الله التى ولدت اياد فى لحظة ارتقاءها ،، بدا التأثر على وجه مازن ولمعت الدموع فى عينيه واخذ يسبح بحمد الله ويدعو بالرحمة

لأخته وهو يحتضن ابنها ويحمد الله الذى اراد له ان يخرج للحياة سليما معافا من رحم كل هذا الموت والدمار .. ولكنى لم اكن أعرف انه قد اصبح له اسما فاسمه جميل جعل الله لها نصيبا من شجاعة صاحبه ،، دعونا له جميعا وكان الوقت قد مر سريعا فقال ان عليه العودة الآن حيث يعمل طلبت منه ان يحافظ على نفسه داخل هذا النفق المظلم فضحك وهو يقول : هل تعلمين انه اثناء حفر هذه الانفاق كان العمال يقضون داخلها من ثمانية إلى إثنتى عشر ساعة فى ظروف فى منتهى الخطورة على اعماق من ثمانى عشر إلى خمس وعشرون مترا بمقومات بسيطة جدا تحافظ فقط على حياتهم .. وبعض هذه الانفاق كان داخل مدن تحت سلطة الاحتلال مايعنى ان الخطر مضاعف اذا ما حدث وانكشف امرها ،، ولاتنسى انه كان هناك آلات كهربائية او هوائية لثقب الصخور ، وقد حدث واكتشفت قوات الاحتلال بعضا منها وحيدتها بعد ان كان المجاهدون يخرجون منها للقيام بعمليات واشتباكات ثم يعودون.

وقد عاش الاســـرائيليون فترة فى كابوس فكيف لهؤلاء الوصـــول لهذه الاماكن واين يختفون بعد العمليات ، انهى كلامه وهو يضع قدمه على اول درجة للسلم الحديدى سلمت عليه وودعته على امل ان انزل معه للنفق فى المرة القادمة.

فى صـــباح اليوم التالى طلبت الخالة حليمة ان تخرج وتذهب إلى دارها فى تل الهوى لتســـتطلع الاحوال هناك وتحاول إحضـــار بعض الطحين او حتى القمح او اى شـيى يصلح للاكل ،، وايضا لتحضر كمية من الأعشاب من اجل اياد ، فطلبنا منها ان تؤجل ذلك إلى الليل على ان اذهب معها فقالت : وهل فى مفردات هؤلاء يابنتى فرق بين الليل و النهار ؟ فكما تسـمعين ازيز الطائرات وطلقات الرصـــاص لاتهدا فعقب أبى : نعم ياختى ولكن فى الليل الامور أهدا نسبيا ويمكنكما الاختباء حال الشعور بخطر .رضخت الخالة لرأينا وهى غير مقتنعة ،، وبينما كنا نتحدث إذ بنا فجاة نسمع وقع اقدام نعلمها جيدا ما أصـابنا بالهلع ، فهذه هى أقدام جنود الاحتلال تبحث عن المجاهدين فى الديار المتهدمة ،، صـمتنا جميعا وقامت الخالة حليمة بضـــم اياد إلى صـــدرها وغطته جيدا وكنا قد طلبنا من مازن ضـمن ما طلبنا ان يسمح للخالة حليمة ان تقيم هى واياد اســفل فتحة النفق حيث نراها فمن

شـان ذلك ان يخفى صـوت بكائه الذى قد لانستطيع السيطرة عليه هنا وقد يضيعنا ذلك جميعا فوق النفق وتحته وحينها قال ابى : تنزل دون موافقة فهى امامنا ونراها ولن تدخل إلى النفق وإن بكى الرضيع نقوم حينها بوضع الغطاء حتى يهدأ وينام.

انصرف الجنود فحمدنا الله وقالت ابنة عمى خيرات لأبى : قل لى ياعمى هل تركنا العالم هكذا دون اى مساعدة فرد ابى بل وقف البعض مساندا فعل ذلك حزب الله بلبنان الشقيق: وشكل جبهة إسناد للمقاومة فى غزة من اليوم التالى للطوفان وقام بإطلاق عدة صواريخ وذلك ابتداء من يوم الأحد الثامن من تشرين الاول فاطلقت قذائف المدفعية إلى المواقع التى تحتلها اسرائيل بمزارع شبعا بلبنان بهدف إسناد المقاومة فى غزة وقوبل ذلك بغضب إسرائيلى على لبنان تمثل فى سلسلة من الضربات والمناوشات على الحدود اللبنانية الإسرائيلية.

فقالت : بلد واحد ياابى ونحن محاطون بأخوة لنا من كل الجهات ؟ فقال : كنت ساكمل ياابنتى فقد تحرك الحوثيون فى اليمن للإسناد بمنع مرور السفن الاسرائيلية والمتجهة لاسرائيل فى البحر الاحمر حتى يتوقف العدوان على غزة

كما اعلنوا وقد أطلقوا على عمليتهم هذه اسم الفتح الموعود والجهاد المقدس .

وباقى جبهات الاسناد تعمل على قدر طاقتها ونامل ان يزيد ذلك حتى يوقف الاحتلال آلة الدمار الجبارة التى يسلطها علينا.

ثم امسك الراديو وقال ان قناة الجزيرة بدات بثا إذاعيا على موجة FM يصل لاهل غزة و طلب منا ان نستمع إلى موجة البث بالراديو وبدا فى ضبط الموجة ثم اخذ يتساءل كم كان التردد يبدو اننى لا أتذكره الآن ولكننى كتبته على ورقة سابحث عنها فقاطعه عمى : البث على موجة FM بالتردد٩٣ ،. ٩

معهد جبل الهيكل ماخون هكمداش.

اجتمع مجلس إدارة المعهد والذى اسسه الحاخام يسرائيل آرئيل ويرأسه حاليا .. واجتماع اليوم برئاسة مدير المتحف دوفيد شفارنز فى متحف الحى اليهودى فى البلدة القديمة بالقدس لدراسة مستجدات الوضع فيما يخص المساعى وما اتخذ من خطوات بشان البقرة الحمراء واعادة بناء الهيكل وإعادة طقوس القربان من خلال دراسة آثار المعبد والملابس وتم الحديث عن الدعم المادى للمعهد والذى يتولى

اغلبه الملياردير الامريكى هنرى سـويكا الى جانب التمويل الذى تقدمه الحكومة الإسرائيلية.

وكان طوفان الاقصـى قد دفع كل المهتمين بشـان البقرة والهيكل إلى الترابط فيما بينهم لإنجاز المهمة التى يجتمعون جميعا حولها بعد ان بدا الشـعور بالخطر يتسـرب إليهم بعد هجوم المقاومة الفلسطينية الجريئ وغير المتوقع بالمرة منهم فكان اجتماعهم للحديث عن البقرات الخمس وماهى حالتهم فافاد المسـئول عنهم أنهم تحت الفحص والمتابعة المسـتمرة حتى لانفاجأ بما يعكر الصفو من شعرة بيضاء مثلا فتقدم احد المسئولين باستفسار عن شرط أساسى قد تم تجاوزه مع هذه البقرات وهو أن تكون قد ولدت على ارض إسـرائيل ولادة طبيعية وهما شـرطان لم يتوفرا فى البقرات المهجنة الوافدة من امريكا. فهل تعتقدون ان الشعيرة فى هكذا حال تصح ؟

نظر المجتمعون لبعضـهم البعض وقال احدهم : ارى انه مع الصـعوبة الشـديدة لتطبيق الشـروط كاملة ،، هذه الشـروط التى اعجزتنا لألفى عام عن العثور على بقرة تسـتوفيها ، قد يسمح لنا بتجاوز شرط معجز مع توافر باقى الشروط سكت الحاضـرون حين وافق المدير طلبا للتيسـير وقال : ترون بانفسكم ما تفاجئنا به الاحداث فلنسـرع الخطى لإقامة الهيكل

دونما اى تسوية مع الفلسطينيين والتى لو تمت لكان انقسام اسرائيل وكسر وعد الله والعهد بين الله وشعبه.

ولاتنسوا ان كل الجماعات التى انشئت لإقامة الهيكل تحمل شعار : جبل الهيكل هو المركز القومى والدينى لشعب وارض إسرائيل وتتذكرون بالطبع ماقاله غرشون سولومون بعد حرب تموز فى العام الف وتسعمائة وسبع وستون حين قال : اصعدوا جبل الهيكل واهدموا المسجد الاقصى وكنيسة القيامة لإقامة الهيكل الثالث وتهيئة الظروف لقدوم المسيح المخلص.

واعلموا جيدا أننا الآن نعيش عصرا ذهبيا لابد لنا من انجاز الامر فيه فالحكومة بها واحد وثلاثون وزيرا منهم ستة عشر يحسبون على جماعة الهيكل ويجندون كل امكانياتهم العسكرية والاقتصادية والامنية من اجل تحقيق هدفهم ، ويعتبرون سرعة انجاز وتدشين الهيكل بمثابة حلم لهم يعملون على تحقيقه.

ولتعلموا ان هذه الجماعات التى تقترب من اربعين مركز ومنظمة مختصة بامر الهيكل هو ما ابرز الفكرة واقنع بها الكثيرين داخل إسرائيل وخارجها ساوضح لكم هذا الامر

اكثر : قبل الاحتلال العثمانى لفلسـطين لم يكن باسـتطاعة اليهود الصـلاة فى القدس بل انهم حتى لم يجرؤوا على ان يطالبوا بالصـلاة في اى مكان فيها ،، وفى العصـر العثمانى سمح لنا بالصلاة فقط عند حائط المبكى والذى يسمونه حائط البراق وحتى هذا الحائط نصلى عنده فقط ولانملكه فهو وقف ضـمن املاك الاوقاف الاسـلامية ، وقد بحثنا كثيرا لنجد اى سند لنا به فلم نجد رغم كثرة البحث.

ولكن ظهور جمـاعـات الهيكـل الكثيرة كـانـت المعول الرئيسـى والكبير لتغيير هذا الوضـع وشـهدنا فى الثمانين سنة الاخيرة انقلاب كبير فى سـير الاحداث وفى حركة الصـعود لجبل الهيكل وتم فرض هذا الموضـوع على طاولة المناقشـة فى كل مكان ولانريد خسـارة اى مكتسـب مما كان لنا بل بالعكس نريد نشاطا اكبر واوسع حتى نعجل بمهمتنا المقدسة وتفريغ الارض من هؤلاء الفلسطينيين وليتوزعوا على مصر والاردن وهناك من هو على اسـتعداد لتمويل هذا المشـروع ودفع التعويضات اللازمة.

أما عن استفساراتكم بشان البقرات الحمر فإنه حتى الآن لم يتم التأكد بصـورة نهائية ان هذه الابقار صـالحة شـرعا للبدء

فى استخدامها فى الخطوات العملية ،، فالبقرات تغير شعرها كل ستة اشهر وان هناك فرصة ان يغطيها الشعر الاحمر مرة اخرى إذا سقط ولذلك لن نستطع حاليا مناقشة موعد الذبح والحرق فوق جبل الزيتون وإذا ما كان هناك ضرورة للقيام بذلك بخط مستقيم فى اتجاه الشرق ويبقى المكان الافضل موقع كنيسة المبكى السيدى على المنحدر الغربى لجبل الزيتون ليتم خلاص الشعب اليهودى.

أريدكم أن تتذكروا جيدا ماعانيناه طوال تاريخنا

و الذى لن ننساه ماحيينا فى اغلب دول العالم التى عشنا بها والطريقة التى عوملنا بها والتعذيب والاضطهاد ممن كنا نحسبهم اصدقاء لنا ففى بريطانيا فرضوا علينا لبس شارات صفراء واعدموا منا المئات ظلما وتم طردنا بعد ذلك ،، وفى روسيا كان التنكيل والمذابح فهرب اغلب اليهود إلى أوروبا وامريكا وكانوا حوالى مليونى يهودى ،، ولتكتمل الماساة فلم تتحمل دول اوروبا عبء وجودنا فقامت فرنسا والمجر واسبانيا والبرتغال بطردنا ،، تبعتهم إيطاليا والمانيا والتشيك وليتوانيا وبريطانيا للمرة الثانية.

وما نعلمه جيدا ونقوله فى الغرف المغلقة اننا مارسنا حياتنا بيسر وسهولة فى بلاد العرب المسلمين بداية مما قام به صلاح الدين الايوبى حين امر بإعادة بناء الكنيس المتهدم والسماح لنا بالحياة فى القدس وذلك فى العام ألف و سبعة وثمانين للميلاد، وعلى مدار تاريخنا كانت اهدا فترات حياتنا تحت ظل الحكومات الاسلامية استطعنا فيها العمل والتكسب وتكوين ثروات ايضا ولكننا كنا دائما فى حاجة لوطن خاص بنا نشعر فيه بالامان لانطرد منه او ينكل بنا ،، اعتقد ان ما قلت قد اوضح لكم قيمة ما نحن فيه الآن والذى لابد لنا من استكماله قبل ان تلاحقنا لعنة العقد الثامن والتى انتهت عندها دولنا السابقة وكان مصيرنا دائما هو الشتات بين البلاد.

طلب أحد المجتمعين الكلمة وقال : اعتقد أن معاناتنا قد انتهت بما فعل هرتزل وروتشيلد فقد اختطفا لنا الوطن من فم الاسد كما يقال اجابه المدير : تيودور هرتزل الكاتب والشاعر اليهودى النمساوى المجرى المولود فى العام الف وثمانمائة وستون والذى كان يملك صحيفة وبنك والذى كان يبدو انه كان يرغب من وراء مافعل فى التخلص منا هو ايضا لحساب آخرين أو لحساب نفسه فانا فى الحقيقة لم أثق يوما فى نواياه

،، ولكنه استطاع جمع كلمتنا ووحدها ، وكانت توجد قبله جماعتان جماعة تقول انه لقدوم المسيح لابد من تجمع اليهود على جبل صـــهيون فى القدس والجماعة الاخرى تقول لو حدث هذا التجمع فستكون نهايتنا.

جاء هرتزل وجمع بين النبوأتين فاخذ فكرة احباء صهيون وبنفوذه اقنعهم بالعودة وقد كانت تروج للرجوع ولكن بشكل نظرى. ثم كان مؤتمر بازل فى سويسرا كان كل مافيه على نفقة هرتزل وانضم له روتشيلد وطالبوا بضرورة انشاء وطن لليهود فى اى مكان مع ذكر فلسطين ودول اخرى للاتفاق على أحداها وكان منها الارجنتين و اوغندا وغيرهم وبعث هرتزل برسـالته للسـلطان عبد الحميد الثانى يطلب قطعة ارض فى فلسطين لليهود مقابل اسقاط ديون الدولة العثمانية ووضع ملايين فى خزينة الدولة وقد كان الرفض الشهير من السـلطان عبد الحميد الثانى الذى قال : طالما انا على قيد الحياة فلن افرط فى شـبر من الارض فإذا مزقت دولتى يمكنكم الحصول على فلسطين دون مقابل.

وكانت الحرب العالمية الاولى ثم سقوط الخلافة العثمانية فى العام الف وتسعمائة واربعة وعشرون وكان اول قرار

بعدها هو منح سكن لليهود فى فلسطين وذلك فى اطار خطة التقسيم سايكس بيكو و وعد بلفور بتأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين وقد كان للشريف حسين دور كبير فى القضاء على الخلافة العثمانية بعد ان قمنا باستغلال حالة الطمع والرغبة فى السلطة لديه مقابل وعد له بنقل الخلافة عنده ،، ثم بدانا بث الاموال لشراء الاراضى مع استمرار الهجرة من بطش هتلر إلى فلسطين تحت راية (الالمان دمروا عائلاتنا نرجوكم لاتدمروا احلامنا) وقد وصل عدد اليهود فى فلسطين اثنين وعشرين بالمائة من السكان فى هذا الوقت وكانوا ضباط وجنود الهاجاناة والاورجون وكان منهم مناحم بيجين والذين صنفتهم بريطانيا التى كنا نظنها من الاصدقاء كارهابيين.

فى النهاية فقد أردت توضيح الصورة امامكم لنمسك بما نحن فيه ولاتصيبنا لعنة العقد الثامن ويمتد ملكنا ويتمدد فنحن من اختارنا الرب لنكون شعبه المختار .. تمسكوا بعقيدتكم فالدنيا كلها تساندنا ولايهمنا الهدف من وراء ذلك حتى لو كان هدفهم هو التخلص من وجودنا فى بلادهم فنحن الآن دولة

قوية يحسب لها ولجيشها الف حساب ولابد ان يستمر ذلك حتى تمهد الأرض وياتى المسيح بعد ان نكون قد تطهرنا.

كان للمقاومة جاسوس بالمتحف القديم بالقدس ومنه وصلتها معلومة البقرات الحمر التى جاءت من امريكا.

فى دار زنداح خرجنا ليلا انا والخالة حليمة وذهبنا إلى دارها فى تل الهوى وكان سيرنا فى طريق ثعبانى يلتوى حسب ما نقابل من دبابات او جنود راجلين او ان تطوف فوق رؤوسنا طائرة أو مسيرة ، فقوات الاحتلال لاتزال محمومة ولاتريد تصديق ان لها أسرى بعدد كبير لدى المقاومة ويدفعها جنون العظمة للاقتناع بأنها ستعيدهم بالقوة و انه لن تكون هناك صفقات أخرى لتبادل الأسرى من الطرفين فلن يفرج عن السجناء الفلسطينيين وستعيد اسرائيل اسراها بالقوة ،، وفقط.

وصلنا إلى دار الخالة وكان على حاله لم يمس وهذا لحسن حظنا فقد وجدنا لديها دقيق وأرز وسكر إلى جانب الدواء والأعشاب وأحضرت الخالة بعض الفرش والأغطية. وقد سألتنى عن قريبى الطبيب عدنان البرش جراح العظام

الشهير ومدير مستشفى الشفاء و الذى كنت قد اخبرتها عنه وحين سالتها عن السبب اخبرتنى انها علمت انه قد تم اعتقاله من مكتبه بالمستشفى وتوجهوا به الى معتقل سيديه تيمان شديد الحراسة وانه يتم تعذيبه الآن لدوره البطولى فى حماية المستشفى والدفاع عن المرضى والنازحين.

بمجرد عودتنا ياترنيم لابد من توصيل المعلومة للمقاومة لمحاولة إنقاذه فالدكتور عدنان خلوقا ومحبا لمرضاه وشجاعا لا يخشى فى الله لومة لائم وما قام به لاينكره إلا جاحد ولابد لنا من محاولة إنقاذه حتى لو لم ننجح أو بالاحرى تنجح المقاومة فى إنقاذه من براثن هذا العدو الذى لايعرف قانونا ولا رحمة .

تحركنا من تل الهوى بعد ان حملنا من دار الخالة حليمة ما استطعنا حمله وما قد نحتاجه سواء بقينا فى دار زنداح او نزحنا إلى خان يونس أو إلى رفح فالظروف واحدة فى كل الاماكن.

وصلنا وكان طريق العودة الثعبانى أكثر طولا ومشقة بسبب مانحمله واستغرب الجميع من امرنا ولكن الخالة قالت ان كل ما معنا سنحتاج إليه وستثبت لكم الأيام وحتى وان كان

كثيرا فنحن لانعرف متى يرفع عنا هذا الكرب وفى كل الاحوال سيكون استهلاكنا رشيدا وللحاجة القصوى فيما عدا عزام وإياد . وقد طلبت من والدى ان أذهب انا والخالة حليمة لشقتى بشارع الدهشان لاطمئن عليها واحضر منها ما قد ينفعنا ، ولكن المفاجاة التى احزنتنى هى ان قوات الاحتلال أثناء بحثها عن عبدالله ومازن قاموا بحصار الدار لاشتباههم انهما بداخلها فقاموا بقصفها حتى يتأكدوا انه ليس بها أحد .. اطرقت حزنا وهما فهكذا لم يعد لى أى موضع قدم فى حى الزيتون (بعد ان كنت من أيام اتدلل وأطلب ألا أفارق الزيتون فيشاء الله ان يحدث كل هذا وتنقلب الدنيا من حولى رأسا على عقب دونما أى مقدمات لحكمة يعلمها الله وارضى بها وبكل قضاءالله) ، وهكذا خرجت من الحى الذى كانت روحى فيه تركته فلا بيت أبى ولا بيتى نستطيع الاقتراب منهما فإلى متى يارب كتب علينا الشقاء وان يتحكم فينا أسافل الأرض وقساتها بكيت قليلا فواسانى الجميع واحتضنتنى الخالة حليمة وزوجة عمى حتى هدأت وسلمت امرى لله فالامر له من قبل ومن بعد .

فى الصـــباح ســـمعنا الميكروفونات تنادى : على جميع السكان سرعة ترك الديار والنزوح إلى رفح حيث تم توفير أماكن آمنة وخيام مجهزة لمن ينزح إلى هناك .. ومن سيبقى فلايلومن إلا نفسه وسنعتبره مع فصائل المقاومة وسيصبح هدفا حربيا مشروعا لنا.

سمعنا مايقال ونحن لاندرى ماهو التصرف السليم حيال ذلك ، وفكرنا فى الأمر فوجدنا أنه فى كل الأحوال فنزوحنا من هنا كان مسـألة وقت فقررنا ورفعا للحرج عن المقاومة وحتى لانتسبب فى ضرر لهم ان نستعد ونتحرك الآن مع باقى النازحين ونسـير فى وضـح النهار دونما خوف من مطاردة او اعتقال فنحن ننفذ تعليماتهم.

أبقينا أغراض الخالة حليمة كما هى وأخرجنا منها فقط الحبوب والأعشـاب وعلبة تمر نتناولها فى الطريق وبعض الماء.

جمع كل منا أغراضـــه وقد كانت على حالها فلم نحتاج منها شيئ.

ومع اول ضــوء للنهار تحركنا مودعين دار زنداح التى منحتنا قبسـا من نور و أمان الديار ودفئها ماجدد طاقتنا وزاد من قدرتنا على التحمل .

بدانا السـير جنوبا نحو خان يونس حيث كان لأبى وعمى قريب يعيش هناك حدثانا عنه بعد ان قررنا النزوح واتفقنا ان نحاول الذهاب إليه اولا وإن لم تكن الظروف مواتية لديه او تشـــابهت مع ظروفنا فلنكمل طريقنا إلى رفح حيث توجد الخيام التى تم ذكرها فى ميكروفونات الاحتلال هذا إن صدق وفى الطريق وجدنا وجه الخالة حليمة قد تغير بعد لمســـها لوجه إياد فقد وجدت انه يعانى من ارتفاع كبير فى درجة الحرارة فلم تحتمل ذلك واتخذت قرارها بسـرعة بالتوجه بها إلى مسـتشـفى الشـهيد محمد الدرة للاطفال فهى تعرف طاقم التمريض هناك وسـيعتنون به ، حاولت زوجة عمى التدخل وإرجاء الامر واسـتخدام الكمادات الباردة ، لكن الخالة حليمة لم تترك اى فرصة للنقاش وانفصلت عنا وهى تقول ساذهب به ثم الحق بكم على الطريق ولكننا جميعا رفضنا ذلك وقررنا أن تكون كل تحركاتنا معا واتفقنا على الذهاب للمسـتشـفى وان ننتظرها بالخارج فتحركت مسرعة وهى تقول : ساسبق بإياد إذن ونتقابل امام الباب فحالة الصـغير لاتحتمل التأخير

او الانتظـار وارتفـاع درجـة الحرارة هو أخطر مـايواجـه الاطفال وبصفة خاصة الرضع منهم.

مشـينا على مهل لإصـابة عزام واخترنا أن نصـل بعد ان تكون قد انتهت من الكشــف ونمضــى على الفور بدلا من انتظار لاتحمد عقباه ونحن بهذا العدد الذى قد يلفت انظار العدو لنا فيسال ويعرف قرابتنا لمازن وعبد الله أما عن ياسين فلا اعتقد ان احدا يعلم بامره.

وصلنا المستشفى فوجدنا صخبا كبيرا وسيارات الاسعاف تنقل مصابين كثر من الاطفال والكبار ايضا ، ووجدنا اعدادا كبيرة تنتظر بالخارج ، وقفنا وسـط الجموع وتحركت ابحث عن الخالة حليمة إلى أن دخلت المســتشــفى فوجدتها مع ممرضـة اخرى يضـعون إياد فى حوض من الماء والصـغير يرتجف ، ثم اخرجته الممرضــة من الحوض وحقنته بحقنة لتخفيض درجة الحرارة وتسـكين الالم وكانت الحرارة قد بدا مؤشرها فى الهبوط فاعطت الخالة حليمة حقنتان أخرتان مع دواء للشراب ومضينا الى الخارج.

الحق أننى رايت من الخالة حليمة لهفة وخوف على إياد وكانه ابنها الذى انجبته وصـدقت مقولة أن الأمومة ليسـت

بالولادة فقط ولكن بالحب والرعاية والاهتمام ولأمنح الخالة شـيئ من السـعادة فقد ناديتها ونحن فى طريقنا للخروج من المستشفى قائلة : بارك الله فيك يا خالة أم إياد ؟ وقفت الخالة فجأة وقد امتلأ وجهها بالسـعادة واغرورقت عيناها بالدموع وقالت : عشـت عمرى وانا اتمنى سـماع كلمة أم ،، وقد احببت إياد من اول يوم رايته فيه وارتبطت روحى به ، لاتتصـورى ياترنيم سـعادتى بهذا اللقب ، ولكن الن يغضـب ذلك الخالة فريحة فهى الاولى به منى !؟ اجبتها : من خلال معرفتى بها فلن تغضب فهى من المسالمين الذين يعيشون فى حالة من الرضـا الدائم والهدوء وانا واثقة أنه سـيسـعدها ان تناديك أم إياد.

كنا قد وصـلنا للمجموعة فاسـتقبلونا بلهفة للاطمئنان على الصغير.

رافقت زوجة عمى من باب المسـتشـفى وانا اسـألها عن رأيها فى الخالة حليمة فأجابت : والله ياابنتى لو كانت ابية موجودة ما فعلت أكثر منها فى الاهتمام بابنها ،، والله أنى لأرى الامومة الحانية فى وجه هذه المرأة ولو أنها لم تنجب ،

فقلت متشـجعة : إذن نطلق عليها أم إياد ما رايك ؟ اجابت : فلتكن ام إياد فقد عوضه الله بها عن فقده لأمه.

صرنا جميعا نناديها أم إياد ونسينا اسم حليمة تماما.

بدأنا النزوح إلى الجنوب وكان الطريق شـاقا علينا جميعا وقوات الاحتلال وكأنها تمارس معنا انتقاما بشـــعا وإبادة جماعية ويرفضـون تماما فكرة أننا مدنيين لا شـأن لنا بالقتال فنجدهم وراءنا ببطشهم وبآلياتهم وجنودهم ونحن لانملك حتى ما ندافع به عن أنفســنا وكأن هذه المطاردات لاتكفيهم فنجد الطائرات الحربية بأزيزها المخيف تقصـــف فى كل اتجاه بزعم أنها تستهدف المجاهدين من حماس والفصـائل الأخرى وكانوا إذا اشــتبهوا بوجود أحد المقاومين يقصــفون المحيط الذى يتواجد فيه كله وتحصــد ارواح الشــهداء فى كل مرة وتترك المصابين يئنون من الألم ..

ونحن الآن فى نزوحنا هذا ونحن جماعة فلا احد منا يدرى على من ستسقط القذيفة او يطلق الصاروخ.

وفجأة .. ونحن فى طريقنا منهكين مكروبين نفجع بغارة من طائرة حربية فهرول كل منا فى اتجاه محاولا النجاة بنفسه وجريت حتى وصلت لانقاض دار مهدمة فدخلت تحت

جزء منها احتمى به حتى يخمد الجنون الذى يجرى الآن ولايصدقه عقل ولاضمير ، فنحن وكأننا قد تم تسليمنا لأسفل اهل الأرض للانتقام منا ونحن اصحاب الارض .. ألا يوجد فى كل هذا العالم رجل رشيد يوقف هذه الآلة المجنونة عن الدوران ؟ يارب انت القادر على رفع الظلم والكرب عنا.

انقشع الغبار وبدأ كل من اختبأ فى الخروج من مكانه وبدأ الشباب والرجال فى حمل الشهداء والمصابين والتوجه إلى اقرب مستشفى ، مضيت ابحث عن أهلى فلمحت ابنة عمى ترف فجريت عليها وسألتها ان كانت تعرف طريق الباقين فقالت : انا لم الملم شتات نفسى بعد ياترنيم وحتى انت لم اراك فمفاصلى ترتعش ولا استطيع السيطرة عليها اشعر أنى سأقع إذا حاولت الحركة فقلت لها : بل انهضى فهذا وهم وأنت قوية هيا لنبحث عن اهلنا فلا وقت لدينا.

قامت ترف وتحركنا نبحث عن الباقين ثم قررنا أن نقف فى مكان واضح يسهل معه ان نراهم ويرونا وفجأة لمحنا عزام على الأرض توجهنا إليه بسرعة وساعدناه للوقوف

فاخبرنا أن أحدهم أثناء جريه أسـقطه على الأرض فدهسـه آخرون حتى انتهت الغارة.

وجاء إلينا عمى ثم تجمعت مجموعتنا بعد مشقة فى البحث .وكنا فى غاية الإجهاد فقرر أبى أن نبحث عن مكان نجلس فيه لالتقاط الأنفاس وليقضى من يرغب منا حاجته ثم نستأنف سيرنا.

ووجدنا ضـالتنا فى منزل قد تم قصـفه وبقى جزء منه لم يقصـف فقررنا البقاء فيه وقضـاء الليل على ان نتحرك مع أول ضـوء للصـباح ، وضـع كل منا مايحمل وكنا قد قمنا بجمعها بعد أن سـقطت منا أثناء الغارة ، وأخرجنا شـيئا مما نحمل لنأكله وتناول كل منا شـربة ماء ونمنا قعودا وكل منا يستند على جزء من متاعنا.

مع أول ضـوء للصـبح فوجئنا بنازحين آخرين يحتمون بالدار وكانوا من بيت لاهيا فى شمال القطاع وكان معهم شيخ يواسـيه الجميع فتحدث أبى معهم وعلمنا انه تلقى على التو خبر استشهاد ابنيه المجاهدان فى كتائب القدس للتابعة لحركة

الجهاد الإســـلامى وذلك فى مواجهات مع قوات العدو من المســافة صــفر ولعدم خروج الأمر عن الســيطرة بالنســبة لانفعال الشــيخ و اكتشــاف امر ان لهم اقارب فى صــفوف المقاومة فقد لجأوا لهذه الدار حتى يهدأ الرجل ويواصـــلون النزوح ،اشـترك أبى وعمى فى مواسـاته وقد كان فى حقيقة الأمر صـلبا قويا ولكنه فقط فراق الأحبة كما قال .علمنا ان جهتهم كانت خان يونس ولكن وصــلتهم الأخبار بما يجرى هنــاك من دمــار وخراب فقــاموا بتغيير وجهتهم إلى رفح وتحديدا إلى حى المواصـى حيث ان هناك أقارب لهم يفتحون بيتهم للنازحين من أقاربهم ، فقال له أبى نحن ايضــا وجهتنا رفح فقد تم تجهيز منـاطق آمنـة هنـاك للنـازحين ووزعت منشورات بذلك من جيش الاحتلال ، وهنا صاح أبو الشهيدبن بأسى : إن العدو يكذب لاتصدقوه ،، يعلن عن اماكن آمنة ثم يقصــفها فلا مكان آمن فى غزة ولا فى خان يونس ولا فى رفح ،، ولا وجود لأى إمكانيات للحياة هناك ومن لايحمل

الشـيكلات لن يجد ما يدبر به حاله او حتى يقيم اوده ، ولن يجد امامه إلا القتال على كل مغرفة طحين او كل شربة ماء.

فاطرق أبى وقال له : جزاك الله عنا خيرا ياأخى وعظم اجرك فى بطلينا الشهيدين وجعلهما شفيعان لك ، وسييسر الله لنا كل امر عسير ان شاءالله .فقال الرجل : لم أقصد إيلامك أو إحباطك فكلنا سـواء فى الألم ولكنى أخبرتك لتكن على نور و علم بأن هذه هى الاحوال هناك وتتصرف على أساس ذلك وتتدبر امرك.

شكره ابى وقمنا بحمل امتعتنا لمواصلة السير فاستوقفنا الرجل وقال لابى ان بإمكاننا الانضـمام إليهم ثم أضـاف بصوت خافت : فقد لاحظت ياخى ان لاشباب معكم وسيقوم شـبابنا باللازم عند الحاجة ان شـاءالله فشـكره ابى قائلا : ملاحظتك دقيقة وهذا ما يصـعب امر انضـمامنا إليكم او إلى أى مجموعات من النازحين فخطوتنا صـغيرة وحركتنا بطيئة وان أذن الله فسنجتمع فى رفح.

بدانا التحرك فسـالت أبى : لما لم تقبل صـحبتهم كانت سـتسـهل علينا بعض الامور فاجاب : بل هى صـحبة تلفت انظار العدو نحونا حتى لو كنا باسـماء مسـتعارة ،، ياابنتى نحن نتلمس طريقنا بسـرية قدر إمكاننا وإلا ما كنا خرجنا من دارنا من الاصل فلندعو الله ان يتم أمر نزوحنا على خير وان تهدا الاحوال ونعود لديارنا دون ان تمس كرامتنا أو أن نتعرض لذل الحاجة.

مضينا فى طريقنا وقد بدأ أغلبنا يشعر بالإجهاد فلم تسترح اجسادنا من فترة طويلة وكنا جميعا فى حاجة ماسة للنظافة الشخصية والاستحمام والمشكلة تتضاعف معنا كفتيات وسيدات وهو ما كان يضيف لمعاناتنا ألم نفسى إلى جانب آلامنا الجسدية وصرنا نتمنى الوصول علنا نجد بغيتنا فى خيام رفح ، وفجأة شعرت بدوار شديد ارتعشت معه قدماى وفقدت السيطرة على نفسى فإذا بى أسقط فجأة على الأرض وترتطم رأسى بحجر ما افقدنى الوعى تماما ، توقف الجميع والتفوا حولى وأمسكت الخالة حليمة بيدى فوجدت النبض ضعيف وطلبت ماء ثم هرست تمرة ووضعتها فى فمى وكنت قد بدات فى استعادة القليل من قواى الخائرة اساسا وقمت بمضغ التمرة .. فهمست الخالة فى أذنى قائلة : يبدو أنك حامل ياترنيم أخبرينى هل أمورك طبيعية أم ان هناك شيئ تغير ؟ فقلت بضعف : بل اسألى ياخالة عن الذى لم يتغير فسكتت الخالة وقالت : على كل حال كونى حذرة فاغلب الظن هو ما اخبرتك به أتمه الله لك على خير ، أمسك ابى بيدى وقال : إنما هى بشرة خير ياابنتى وقال عمى : فعلا ياأخى

إن صح سيكون خبر سعيد وسط هذا المرار بشرك الله بالخير يا أم إياد.

تغير إيقاع حركتنا بعد هذه الواقعة فقد تكررت إغماءتى مرة بعد أخرى بسبب قلة الطعام وسوء التغذية ، وبدأت أشعر بأننى عبء ثقيل ولكن الأمر خارج عن ارادتى فماذا أفعل حدثت نفسى لأخفف عنها عناء اللوم ، وهنا قرر أبى متنازلا عن جزء كبير من الشيكلات أن يستأجر إحدى شاحنات النقل التى تمضـــى على الطريق لنقل من يرغب من النازحين باسعار خيالية فقد طلب الرجل خمسمائة دولار وكانت قبل الاحداث بخمسين وأقل ،، ولكنه كان مضطرا فالجميع فى حالة إنهاك وضعف ، نقد السائق بالاجرة قبل الركوب كما طلب ،، وفور ركوبنا لم أشعر بنفسى ورحت فى سبات عميق يشـــبه الغيبوبة وقد قلق الجميع ولكن الخالة حليمة طمأنتهم أننى نائمة وأننى ســأكون بخير فالنوم أحيانا يكون دواءا للمنهكين.

فجأة وفى منتصف الطريق تقريبا أوقف السائق الشاحنة وطلب من أبى أن ننزل منها ، فالغارات تتزايد وهو يخشى عليها من القصف و سيقوم بوضعها فى مكان آمن حتى تهدأ

الأحوال فيبدو ان المقاومة قامت بعملية جديدة ضـــد قوات الاحتلال ، وقد اعتدنا ان كل عملية للمقاومة يقابلها غارات وقصف عنيف يطال الجميع ويبدو ان المقاومة قد وجهت لهم ضربات موجعة فى الأيام الاخيرة أثارت جنونهم ثم اضاف وعلى العموم لم يبق الكثير و يمكنكم أن تســتكملوا الطريق سيرا على الأقدام مع باقى النازحين ، وإن أردتم أن تستبدلوا رفح بخان يونس فهى قريبة جدا من هنا ،، ولو اســتكملتم طريقكم فستجد أن قطع الطريق سيرا على الأقدام اكثر امانا لكم فلو فاجأتكم غارة ســيكون بإمكانكم الاختباء عكس ان تكونوا فى الشاحنة ويتم قصفنا جميعا ونحن محبوسين بداخلها.

نزلنا وعاودنا الســير وعاودنا أيضــا الشــعور بالإرهاق وكأننا لم نسـترح للحظة ، قالت خديجة لأبى : لنحاول ياأبى أن نستأجر شاحنة أخرى يكون سائقها شجاعا لايهاب العدو فقال لها : هو كان يهاب لقمة عيشـه يابنتى . ضـحكنا فقال : سأحاول فكلنا أصبحنا شبه عاجزين عن السير وخاصة عزام ، والواقع ان إصـابة عزام كانت تسبب له آلاما مبرحة وكان يكتم فى نفسه ولكنه بسببها كانت خطوته في غاية البطء٠

وقفنا ننتظر بلاجدوى ومع خطورة وقوفنا هكذا طلب عمى أن نبحث عن مكان يمكننا أن نمكث فيه بعض الوقت لنستعيد نشاطنا ، وسيتولى هو أمر البحث عن أى سيارة .

أخذنا نتفحص كل المبانى المتهدمة على الطريق حتى وجدنا أحد الديار تهدم بالكامل وبقيت بعض الجدران جلسنا نحتمى بها ونلتقط أنفاسنا وقرر أبى وعمى أن نقضى جزء من الليل هنا وان نخرج الملابس الثقيلة لنتدثر بها كأغطية .. على ان يحاول عمى استئجار شاحنة بسعر معقول.

كنا قد انشغلنا عن إياد ولكن الخالة حليمة لم تفقد تركيزها او تنشغل عنه وقد تحسنت حالته وانخفضت درجة الحرارة ولم يحدث ذلك مع حالة عزام للاسف ولكن ام إياد طمأنتنا أن التحسن بطيئ ولكن الحالة ليست بالخطيرة وستتحسن ان شاء الله ،، هى مسالة وقت فقط.

كانت هذه الفترة صعبة التحمل على اختى وبنات عمى اللاتى كن فى حاجة ماسة للخصوصية وبحاجة لمكان يتوفر فيه الماء فما كان يمر عليهن من ظروف جعلهن فى حالة من الضيق والتوتر وهو ما تم اعفائى منه بسبب الحمل وان لم يكن ذلك بشكل تام فلدى مشاكل من نوع آخر ، وللحق فوجود

أم إياد عوضـــنى غياب أمى فى هذا الظرف بالإضـــافة لشعورى بأننى تحت الرعاية الطبية.

كنا جميعا فى حاجة للراحة فنمنا بعض الوقت جلوسا كما تعودنا حتى عاد عمى بوجه غير الذى ذهب به وقد كان طلبه ان نبقى هنا ويذهب هو لغاية أخرى ،، فقد كان له حديث جانبى مع نازح من مجموعة بيت لاهيا التى التمست بعض الامان مثلنا فى انقاض الدار الذى استرحنا عنده بعد القصف ،، وقد اخبره عمن يعرف مازن ويعرف عقدته القتالية التى كانت تعمل فى بيت لاهيا الايام الماضية ، وقد ذهب له عمى فأبلغه أن مازن مفقود ولايرجح ان يكون قد استشهد ووعده باستجلاء الامر من بعض النازحين ممن لديه خبر ..ولكن عليه ان يبقى حيث هو لبعض الوقت حتى يسهل عليه التواصل معه.

عاد عمى وقص علينا ما كان ، كان وقع الخبر على غريب كنت كالتائهة فى دوامة ليس لها قرار وكأننى فجاة اصبحت وحدى غريبة أشعر ببرد شديد جعل جسدى يرتعش

بشـدة ، احتضـنتنى أم إياد مهدئة ومطمئنة وهى تقول : هو احتمال يابنيتى لم يتم تأكيده وزوجك سيعود لك ولابنه يحمل بشائر النصر ان شاء الله.

هدأنى حديثها وجلســنا جميعا ندعو الله ان يحفظ زوجى واخوتى وكل ابطالنا فى جميع فصـائل المقاومة ،، ثم جلست أذكر نفســى بأننا جميعا معرضــون وفى كل لحظة للشــهادة وهى مكانة نتنمناها على الله .. فما دهاك ياترنيم فكل بطل له دوره المكتوب والمقدر حتى لو كان مثلما تعطيه النحلة على مدار حياتها والذى لايكمل ملعقة من العســل وعطاءها مع غيرها يكون عسلا شهيا يشبعنا ويفيدنا .. اهدئى ياترنيم فلكل شـهيد دوره المرسوم ، ولو كان زوجك فى مصـاف الشـهداء فارفعى راسك واخبرى ابنك عن أبيه البطل.

ويكفى طاقة النور التى جاء بها الطوفان والتى اخذ كل منها قبس انار به طريقه ويقينى ان الله اراد بالطوفان ان يهيئ الارض لأمر جلل بعد ان ايقظ الوعى عند الكثير من الشعوب ..واما فلسطين فهى تستعصى على الفناء .

غفوت وانا اجلس لثوانى وافقت على صـوت عمى وهو يقول : يحيرنى امر أخوتنا فى العروبة والاسـلام والذى كنا ننتظر منهم موقفا مغايرا لما رأينا وحيرتى سـببها أنهم ينظرون إلينا على أننا كائنات اسطورية او شعب الجبارين كما يقولون ولو فتحوا قلب كل منا لوجدوا الضـعف و الألم والقهر والخوف واليأس احيانا فهم ينسـون أننا بشـر مثلهم ونحمل كل المشاعر الإنسانية من القوة والضعف ، وإن كنا نتحمل أقدارنا فلأنها مكتوبة ولم نخترها .. فرد عليه عمى : يـاابن أبى هون عليـك فهى فقط مبررات تبرر تخـاذلهم وتمنحهم حالة من الرضـا فيكتفون بالدعاء لنا ثم ينعسـون وهم متدثرين بأغطيتهم الثقيلة فى أسرتهم الدافئة بضـمير مرتاح .

ولكن تخاذلهم لن يضرنا يا أبى قالت خديجة بغضب فقال ابى : صدقت ياابنتى ونحن فقط نتحدث ببعض العتب عليهم فنحن نعلم أنهم لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا ، وأننا ليس لنا ملجأ إلا الله هو نعم المولى ونعم النصـير ..وهنا تسـاءلت خديجة : وهل مساحة الارض هذه تستحق كل هذا الخراب والدمار وإراقة الدماء من اجلها ؟ فأجبتها : لو كان الامر

كذلك لما اجتمع الغرب كله على غزة وما قال رئيس الولايات المتحدة الامريكية : لو لم تكن هناك اسـرائيل لأنشـأناها واوجدناها .. وقال جدعون ليفى : يبدو ان الفلسطينيين طينتهم تختلف عن باقى البشر فقد قمنا باحتلال أرضهم واطلقنا على شبابهم الغانيات وبنات الهوى والمخدرات ، وقلنا ستمر بضع سنين وسينسون وطنهم وارضهم ، فإذا بجيل الشباب ينتفض فى عام الف وتسعمائة وسبع وثمانون ، ادخلناهم السجون وقلنا سنربيهم فى السجون فعادوا إلينا بانتفاضة مسلحة فى عام الفين .. قلنا نهدم بيوتهم ونحاصرهم سنين طويلة فإذا بهم يستخرجون من المستحيل صواريخ يضربوننا بها رغم الحصار والدمار ..

فاخذنا نخطط لهم بالجدران والأسلاك الشائكة فإذا بهم ياتوننا من تحت الارض والأنفاق ويثخنوا فينا قتلا .. حاربناهم بالعقول فإذا بهم يسرقون القمر الصناعى الاسرائيلى عاموس واستولى احدهم على القناة الثانية الإسرائيلية.

قضينا شطرا كبيرا من الليل فى هذه المناقشات ونحن فى انتظار آذان الفجر الذى كان قد اقترب عندما سمعنا من ينادى

على عمى فســـبقته إليه فلحق بى عمى ونهرنى وأخذ بيد الرجل إلى الخارج ، وسأله هل لديه خبرا فقال الرجل:

ابنك مصاب إصابة شديدة وقد وجده زملاؤه وحملوه إلى حيث الامان والعلاج ان شاءالله ،، ثم شد على يده قائلا : ابنك بطل ياأخى قام بوضــع عبوة شــواظ بيده على دبابة ميركافا فدمرتها بمن فيها ولما جاءت قوة للمساندة شغلها عن زملاؤه ليؤمن انســحابهم بعد العملية التى أدى كل منهم دوره فيها .. فكانت إصابته الشديدة فى منطقة تغطيها الأنقاض ولذا اعتبره زملاؤه أســير أو مفقود حتى عادوا بعد العملية بيومين وبعد انصـراف آليات العدو التى تمركزت هذه الفترة ، ليجدوه فى حالة سيئة وقد اعمى الله عيون العدو عنه ،، وقد تحمل الألم رغم ان الإصــابة كانت قاتلة ولكن الله أراد له عمرا جديدا وهو الآن تحت العلاج.

ســكت الرجل وهلة احتراما لمشــاعر عمى ثم قال له : ابنك بطل ياأخى بشــهادة زملاؤه ومكانى هنا تعلمه جيدا ، فإن أردت خبرا عنه او توصـيل رسـالة له فبلغنى بها فقال له عمى : هما امرين فقط فضلا منك الاول ان تخبره ان زوجته حامل والثانى أننا فى طريقنا لحى المواصـــى فى رفح ان شــاءالله ، وإن هدأت الأحوال فى الدرج او الزيتون فسـنعود

إلى أى منها ،، ثم سـلم عليه عمى شـاكرا ممتنا له وذهب الرجل وعاد عمى ليقص علينا ما كان.

طرح ابى علينا أمرا للمناقشـة وهو أن نتجه إلى خان يونس فهى قريبة كما أخبرنا السائق فإن تيسر الحال بقينا وما ندفعه لو استأجرنا شاحنة ندبر به امورنا فى خان يونس.

فقالت اشجان : ولكن ياعمى لو تذكر حديث والد الشهيدين أن الاحوال هناك خطيرة من الغارات والقصف.

فرد عمى : وهل سـيكون الحال مختلف فى رفح ؟ الغارات والقصف يالابنتى فى كل الانحاء وهى كالموج ينتقل من مكان لمكان.

أيدت ام إياد هذا الرأى وأننا لو رأينا الاحوال فى خان يونس من الخطورة بما لانسـتطيع معه التحمل ، فلنبدأ النزوح إلى رفح فبينها وبين خان يونس عشـرة كيلومترات ، نسـتطيع اجتيازها سـيرا على الاقدام بعد ان نكون قد نلنا قسطا من الراحة.

أيدنا جميعا هذا الرأى وأضـاف أبى : ومن اجل خاطركم سنستأجر سيارة أو شاحنة لخان يونس فستكون الأجرة بسيطة وايضا لنستعلم من السائق عن مكان نذهب إليه.

مع أول ضـوء للصـبح بدأنا بالتحرك وركبنا شـاحنة اسـتأجرها عمى وتوجهنا إلى خان يونس ونحن لانعلم عنها غير أنها مدينة سـاحلية تطل فى جانبها الغربى على البحر المتوسـط. بدأ ابى وعمى الحوار مع السـائق الذى تبدو عليه ملامح الطيبة والوطنية وكان فى منتصـف الاربعينات تقريبا فسـأله أبى : من أى مكان فى غزة يا أخى فأجاب : من دير البلح ، ولكن غزة كلها وطنى وبيتى ثم أضـاف بحزن : لا سـامح الله من تسـبب لنا فى هذا الخراب فرد عمى : ومن تقصد ياأخى وكنا قد شعرنا من حديثه أنه يقصد حماس ، فرد منفعلا : ما لنا ومعاداة هؤلاء ونحن لاطاقة لنا بقتالهم والواقع المر يشـهد ، من يتحمل كل هذه الدماء وهذا الخراب والدمارغير حماس ومعهم باقى فصائل المقاومة! ؟

كنا نسـمع الحوار القائم بين ثلاثتهم ولكن إجابة السـائق واقتناعه بما يقول دفعتنا دفعا للتدخل فقالت خيرات : ماذا

تقول ياعمى ؟ وهل كنا فى رغد العيش قبل الطوفان ؟ ألم يصلك أى أذى من الاحتلال المجرم ام أنك كنت تعيش فى بلد آخر ؟ فردت ترف : وحتى فى البلـدان الأخرى فـأحوالنـا معروفة للكافة !! وهنا تدخل عمى قائلا : هل هذا يجوز يابنات ؟ اعتذرا لعمكما فورا فرد السائق : عفوا يا أخى فهما مثل بناتى وانفعالهما له ما يبرره ولكننا كنا على الأقل نحيا قبل الطوفان ولو كانت الحياة صعبة اما الآن فلا حياة لنا ولا لاولادنا ولا أمل فيها . وهنا فضـل أبى وعمى إنهاء الحوار فوجع الرجل وألمه تنطق بها كلماته.

ثم قال أبى مغيرا مجرى الحديث : أخبرنا ياأخى عن احوال النازحين فى خان يونس فقال : تقصـد النازحين من خان يونس ؟ فاجأتنا إجابة الرجل ولكنه أردف : لاعليكم أنتم نازحين إليها ومن فيها ينزحون منها ولاغرابة فهذا شـأن جميع احياء غزة الآن فمن فى الغرب ينزح للجنوب وأهل الشمال إلى الوسط ومن رفح لخان يونس والعكس فكل المدن يتم النزوح منها وإليها ،، لكن لابد ان تعلموا أن خان يونس مكتظة جدا بالنازحين فعليكم بالشـاطئ لتثبتوا به خيمتكم وإن كنت أرى أنكم بحاجة لخيمتين هذا إن كانت ظروفكم تسمح . فسـأله عمى عن ثمن الخيمة بالتقريب فقال : نصـيحتى ان تبحثوا عن إحدى مؤسسات الإغاثة وان تسجلوا أسماءكم فيها

وذلك لتوفير ما يســـهل عليكم الحياة مثل اســـتلام خيمة وكوبونات للمواد الغذائية والماء وان كنت أعتقد بصعوبة ذلك الآن فقوافل وشاحنات المساعدات تقف على الحدود المصرية ولم يسمح لها بالدخول من فترة ما دفع التجار لرفع الاسعار لقلة الموجود لديهم من بضائع.

فســأله أبى : وإن لم نجد فما هو ســعر الخيمة بالتقريب فأجاب : حســب المادة فهناك النايلون والمشــمع والكراتين وهناك القماش الثقيل الذى يتحمل وهناك الواح الصـــفيح وتقيمهم جميعا الاعمدة الخشبية ،، والأسعار من مائتى دولار وتصــل إلى ألف واكثر ، فأغلبية التجار بطبيعتهم يســتغلون الظروف ويرفعون الأســعار وإن لم تســمح ظروفكم فيمكنكم استعمال الأغطية وما شابه مما حملتم معكم مع أربعة أعمدة خشــبية وتســير الأمور ،، فقال عمى : ندعو الله أن لا تصــل بنا الامور لذلك.

سكت السائق ثم قال : حين تصلون إسألوا عن السيد هانى نبيل هو ناشط فى مجال الإغاثة وأعتقد انه يستطيع المساعدة وقولوا له انكم أقارب الســائق ظافر النديم فهو يعرفنى جيدا وبيننا تعاملات ،، هذا الناشــط فتح نقاط إغاثة محاولا بقدر

الامكان ان يتناســب مع العدد الهائل من النازحين وقد دعى لحفر آبار للسقاية فهو بإذن سيقدم لكم المساعدة قدر امكانه.

كنا قد وصـلنا خان يونس ومن اول وهلة شـعرنا بزحام وتكدس خانقين وحمدنا الله أن جعل من شـاطئ البحر متنفسـا للنازحين البؤسـاء ،، وكان خيارنا جميعا التوجه للشـاطئ مع انـه قد تم تحـذيرنـا بـإمكـانيـة أن تبتلع الأمواج الخيـام ليلا وتسـحب من فيها داخل البحر ،، فاتفقنا على الحذر وان نقيم ورديات للنوم وسـنكتفى بخيمة واحدة نتناوب على النوم فيها توفيرا للنفقات فلا أحد يعلم متى ينتهى هذا الكابوس.

جلسـنا بجوار امتعتنا وذهب عمى لاسـتطلاع الأمر فعاد بخفى حنين فجميع مواقع الإغاثة والمدارس والمسـتشـفيات والمحررات وهى المسـتوطنات الاسـرائيلية السـابقة وحتى الأراضـى الزراعية مكتظة بالنازحين ،، فسـأل عن السيد هانى نبيل فلم يجده ولا يعلم من سـاله متى سـيعود ،، فقرر عمى التحرك وحده والاستعانة باحد النازحين يساله إذا عرقله شـيئ وقد علم عمى فى جولته ان عموم احوال النازحين فى منتهى الصـعوبة فغالبيتهم لايجدون الخدمات الأسـاسـية من الماء والكهرباء وشـبكات التليفونات النقالة والدواء وما إلى ذلك إلا بشـق الأنفس وإن وجدت يكون ذلك فى اوقات قليلة وتكون غاية السـوء وخلاصـة كلامه ان من لا يملك المال

سيشقى وستصعب عليه الحياة وكنا نحن أيضا قد تجاذبنا اطراف الحديث مع بعض النازحين وكنا نود ان نعرف سبب تسمية المدينة بخان يونس فعلمنا من أحدهم ان خان يعنى الفندق او مكان الأقامة .. اما يونس فهو الامير يونس النوروزى الدوادار المملوكى وهو الذى أنشأ الخان وقديما كانت الخانات تنتشر على الطريق لخدمة التجار وقضاء الليل فيها .

حتى جاء عمى بعد أن وجد من ابتاع لنا منه خيمة بالكاد تكفى ستة أشخاص ودفع فيها ألف دولار وكان معها ألواح خشبية لتثبيتها فقال له ابى : هذا المبلغ كبير جدا على خيمة فرد عمى : الخيام البلاستيكية الرخيصة لن تتحمل وسنضطر لشراء اخرى بعد فترة وهى ليست رخيصة ايضا فهى بخمسمائة دولار تعجبنا ولكننا لانملك إلا الرضوخ للأسعار فهذا خيار اجبرنا عليه .

وتوجهنا بعد ذلك وبناء على نصيحة السائق وبائع الخيام ايضا لعمى إلى شاطئ البحر نبحث لنا عن موقع قدم بين النازحين الذين يكتظ بهم الشاطئ ، وكان البائع قد نصح عمى بضرورة تسجيل أسمائنا لدى منظمات الإغاثة وقد حكى لنا

عمى بعض مما قاله له الرجل حين جلسنا لنلتقط انفاسنا فقال :هل تعلمون أن اليهود لايملكون شـبرا هنا فى خان يونس وهو مايجعلهم يستشيطون غضبا فحتى الآن لم ينفخ فى البوق او الشـوفار كما يسـمونه سـأله عزام وماهو الشـوفار ياأبى ولماذا ينفخون فيه ؟ فاجابه : الشوفار هو بوق مصـنوع من قرون حيوان ماكول لحمه وغالبا يكون لكبش او الغزال ذو القرون الطويلة المسمى بالرنة ولا يسمح ان يكون قرن ثور ،، وكان

يشترط فى البداية أن يكون الشوفار غير ملتوى ثم تم التساهل فى هذا الشـرط ولكنه لايزخرف فقط ينقش عليه كتابات بعد ان يشذب ويهذب ويستخدم للنفخ فيه ،، ولماذا ينفخون فيه سالت خديجة فقال عمى : ينفخ فى الشوفار فى صلاة الصبح أثناء الشـهر الذى يسـبق عيد رأس السـنة العبرية .. وفى يوم العيد .. وفى راس السـنة لابد لكل يهودى ان يسـتمع لتسـع نفخات من البوق ولكنهم ينفخون ثلاثين مرة منعا للشـك اما فى المعبد فيتم النفخ مائة مرة ،، وينفخ فيه فى يوم الغفران وفى لحظات النصـر والاستقلال والانتصـار مثلما حدث عند احتلال سيناء والمسجد الاقصى ،، ويستخدمه المراقب وينفخ

فيه للتنبيه فى حالة وجود خطر وينفخ فيه لتذكرة الناس بيوم القيامة .. وما يخصـــنا هنا هو ان من عادة اليهود انهم إذا دخلوا ارضـا جديدة ان يقوموا بالنفخ فى الشـوفار ويعنى هذا انها اصـبحت ملكا لهم وانها اصـبحت ارضـا اسـرائيلية يحق للمستوطنين اليهود ان يسكنوها بعد طرد العرب (المحمديين او اتباع محمد كما كانوا يطلقوا على الفلسطينيين) ثم يقوموا بتغيير اسماءها محاولين محو ذاكرة الاماكن وقد فعلوا ذلك فى دير ياسين بعد المذبحة لمائتين وخمسين شخص يمثلون ثلث عدد ســكان القرية ثم هجروا الباقين وســاووا دورهم بالارض وأقاموا فوقها متحف الهولوكوســت وعلقوا لافتة تقول (محرقتكم نكبتنا)،، وقد نفخوا فى البوق هناك وفى كل الاحياء والمناطق التى دخلوها فى غزة.

بدأنا منذ وصـولنا خان يونس رحلة عذاب يومية متواصـلة وقد أنفقنا الكثير لتوفير الضــروريات والواقع أن النازحين كانوا متعاونين وقدموا لنا المشـورة والنصـيحة فنحن فى الهم والألم سـواء ،، وما لمسـناه من اول يوم هو أنه لا مكان فى غزة او فى الجنوب فى خــان يونس او فى رفح آمن من الاعتداء والقصــف من الطيران الحربى للعدو ومن قوات

جيشـــه فكان الجميع هنا فى خان يونس وكانهم فى انتظار الموت فى كل لحظة ، وقد انتقل هذا الشعور إلينا ،، ونحن إن كنـا قد اقتربنـا من الموت مرات عديدة فى دارنا فى حى الزيتون فى بـدايـة الطوفـان ثم فى دار عمى بحى الـدرج وبعدها فى مدرسة الفلاح ، فإننا هنا قد انغمسنا فيه وعايشناه وأصبحنا نحن وكل جيراننا من النازحين فى مخيم خان يونس على شاطئ البحر المتوسط وكل منا ينتظر أن يكون دوره هو التالى.

ولكن ما خفف عنا وطاة ذلك هو محاولة البعض نشـــر البهجة بقدر الإمكان عندما قام بعضهم بتصميم بعض العاب للاطفال فى حدود المتاح من امكانيات بسـيطة رأينا بعضــها وابتســمنا تفاؤلا بذلك ، وفى الحقيقة ان رؤية الاطفال وهم يلعبون ويســـعدون فى براءة جعلتنا ندرك ان هذا الجيش المختبئ داخل اطنان الحديد او داخل الاسوار والجدر لن يقدر على اســودنا مهما فعل ،، وصــدق الله العظيم حين قال فى كتابه الكريم) لايقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصـنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون.

وحســـنا نفعل نحن حين لانوقف مظاهر الحياة حتى فى احلك الظروف مثل امور الزواج والانجاب.

وقد علمنا ان كثرة الغارات سببها وجود يقين لدى المحتل بوجود مقرات لحركة حماس تغطى عشـــرين بالمائة من مساحة خان يونس وحين يشكون فى اى مكان يضربون كل هدف متحرك فيه حتى لو كان مدنيا لاعلاقة له بالمقاومة وحجتهم انه متعاون ولابد من القضاء عليه فى دائرة جهنمية لاتنتهى.

ومايفعلونه يحاولون به عبثا اقتلاعنا من ارضـــنا وهم لايعلمون ان الفلسطينى لايشبه اى انسان آخر وان اقتلاعه من ارضــه أصــعب عليه من اقتلاع روحه من جسده وهو يدرك يقينا انه على الحق وان المعركة بين الحق والباطل لابد لها من نهاية وحين تشتد المواجهة ويبلغ جانب الحق اقصى محنته فالثبات هنا هو نقطة التحول .. يتحول كل شيئ بعدها إذا ثبت لصالحه ،، وإنما النصر صبر ساعة ونحن اهل غزة

مع ابطال جنين ونابلس وطولكرم آخر محاربى القضـــية الفلسطينية.

شــرد ذهنى ودارت كل هذه الافكار فى راســى فأمدتنى بطاقة وقوة اســعدتنى جدا وافقت على صــوت زوجة عمى وهى تتحدث مع ام إياد بشــأن ضــرورة توفير اوانى لطهى الطعام فقد تأثرت صــحة الجميع من نقص التغذية فاتفقتا على عرض الموضـــوع على أبى وعمى فوافقا لهما على أن تتوجها لسوق المدينة ليبتاعا آنية وبعض الاطباق والاكواب وبعض اللحم والخضــروات وقد نقدهما ابى الف وخمســمائة شــيكل لشــراء احتياجاتنا ونبه على ضــرورة شــراء ملابس ثقيلة لإياد فالبرد قارس وهو لايتحمل وطلب منهما محاولة شــراء موقد صــغير للطهى وانبوب للغاز بشــرط ان تكون تعبئته ميســرة وان يتأكدا من ذلك قبل الشــراء وأن يتوجها لاسواق المستعمل وأحدها يوجد فى شارع جمال عبد الناصر.

وحين توجهتا فى طريقهما لخارج المخيم اســتوقفهما قائلا أنه من الافضل ان يرافقهما.

وبدأ عمى بمساعدتنا له فى تجهيز الخيمة ووضعها فى المكان الذى استطعنا الحصول عليه بمساعدة سيدة عجوز حانية تدعى أم عونى وزوجها الحاج على المطوق استشهد اربعة من اولادهما السبعة فى غارات للعدو والأخير منهم استشهد وهو يحاول انقاذهما من حريق حدث على أثر غارة صهيونية ،، والثلاثة الباقين من اولادهما يحاربون فى صفوف جماعة الشهيد ابو على مصطفى الجناح العسكرى للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وقد انقطعت أخبارهم ولم يعلموا بان والداهم قد نزحا من جباليا فى الشمال إلى هنا تماما مثلنا مع اخوتى وزوجى.

وقد أحببت الخالة ام عونى جدا وشعرت كما لو كانت جدتى أو أمى رحمها الله ويبدو ان المحنة جعلتنى أحب الجميع وارغب دائما فى دفء الحديث معهم لعل الله ان يحدث بعد ذلك امرا . ويبدو أن الخالة وزوجها كانا من وجهاء القوم فحديثما ومظهرهما رغم النزوح والحياة الصعبة يشى بذلك ،، وكنا قد انتهينا من تجهيز الخيمة ووضعنا فيها ثلاث مراتب سعة فرد واحد لكل منها كان ابى قد اشتراهم مع الخيمة واشترى أيضا ستة وسائد ،، فذهبت انا وترف إلى

خيمتها لنشـــكرها فاســـتقبلتنا بما يليق بها وبنا وقد لمســـنا احتياجها لبنات كاحتياجنا لام وجدة وثبت صـدق حدسـى فى أصلهما فهما من عائلات ذات أصول عريقة فالحاج على من عائلة المطوق والخالة ابتهاج وهذا هو اســـمها من عائلة علوش.

قدما لنا الشـاى وشـعرنا بعمق ثقافة الحاج على حين قالت له ترف : وإلى متى ياعمى سـيسـتمر مانحن فيه وهل هناك امل فى زوال هذا المحتل؟ فاجابها العجوز الحكيم بكل ثقة قائلا : لايوجد محتل يملك ارضـا احتلها فالارض دائما تحن لاصـحابها واعلما يا ابنتاى ان اسـرائيل ولدت بعوامل فنائها وطرحت نهايتها مع البداية فى نفس الوقت على الوجدان الاسـرائيلى فهم يعلمون جيدا أن كل الجيوب الاسـتيطانية إلى زوال والاسـتيطان الاسـرائيلى كغيره مثل البيض فى جنوب افريقيا وفى امريكا الشمالية واستراليا كلهم استخدموا اسباب توراتية وانهم شـــعب الله المختار لهم حقوق مطلقة وان العرب الكنعـانيين يجـب إبـادتهم وهو مـاينطبق على الهنود الحمر والسود فى جنوب افريقيا . سألته ترف : انا اسمع انهم متدينين فكيف لمتدين ان تكون هذه افكاره ؟ فاجاب وانا أتابع

حوارهما بشغف : اى تدين ياابنتى !! ستفاجئين حين تعرفين ان خمسون بالمائة من يهود اسرائيل ملحدين والنصف الآخر تسعون بالمائة منه من اليهود الإصلاحيين اعترف اغلبهم بالشذوذ الجنسى ومواكب الشواذ كانت تدور فى تل أبيب.

وحتى هرتزل وماكسيمول كانوا يكرهون اليهودية وقال مكسيمول ان التوراة كتاب مقزز والعقيدة اليهودية تبعث على الاشمئزاز.

وظل اليهود يرفضون حتى بداية القرن العشرين قيام دولة يهودية لان فى ذلك نهايتهم وان على اليهودى أن ينتظر قدوم المسيح المخلص ليقود شعبه إلى صهيون وذلك فى نهاية التاريخ ومن يحاول ان يستوطن بنفسه فهو قد سقط فى رذيلة حيكات هاكتس وتعنى التعجيل بالنهاية.ولذلك كان الحاخامات فى نهاية القرن التاسع عشر يرفضون السفر للقدس حتى لايفهم انهم يؤيدون المشروع الصهيونى ،، ولان ارض المسجد الاقصى ليست ارضا طاهرة حسب معتقداتهم وانه

لايجوز لهم دخوله وهدمه وبناء الهيكل إلا بعد ان يتطهروا بدماء بقرة حمراء فى طقوس محددة لاتساهل فيها.

نظرنا انا وترف لبعضنا البعض فهذا تصديق على ما حكاه لنا عمى عن البقرة الحمراء.

سـكت الحاج على فجاة وقد تحولت انظارنا إليه ونحن مشدوهين مما يقول فضحك وقال : اعتذر يابنات للإسترسال فقليل ما يسال احد عن هذه الامور فوجدتها فرصة لأخرج ما فى صدرى تجاه هؤلاء الهمج الغاصبين ،، فقالت ترف : والله ماسـمعنا منك الآن هو اقيم واهم ماسـمعنا من بدء الطوفان وهى امور كانت تشغلنا ولانجد إجابات لها . وقفنا للانصراف فشكرته وشكرت الخالة على كرم الضيافة وقلت للحاج على : هل تسمح لنا ياعمى باستكمال هذا الموضوع فانا اعتقد ان له بقية ، فاجاب : فعلا يا ابنتى هذا موضـوع يطول شـرحه وسـاسـتكمله معكما قريبا ان شـاءالله ، آنسـتمونا آنسـكم الله بذكره.

توجهنا إلى خيمتنا وسالنا عن فريق السوق فاجاب عزام : لم يأت احد حتى الآن وانا أتضـور جوعا فقالت له اشـجان سـابحث لك عن شيئ تاكله فقال عمى : بل يصـبر حتى تأتى امه بالطعام فسكت عزام على مضـض ووقف خارج الخيمة فى انتظارهم.

ثم سـمعنا فرحته بمجيئهم فوجدناهم فى حالة من الإجهاد ومعهم المشـتروات وكانت كثيرة وضـعها ابى وخرج وهو يقول : اخبرونى حين تنتهوا من إعداد الطعام.

جلسـنا انا واشـجان وترف وخيرات وخديجة نخرج المشتروات وسألت خيرات : ما حال السوق يا امى وإلى أين ذهبتم فقالت زوجة عمى اى سوق !!؟ لم تعد هناك اسواق بل بائعين بسـطاء على بسـطات صـغيرة تفتقر للبضـائع الاسـاسـية ،، ولتحكى لكم الخالة ام إياد فركبتى التهبتا من السير فى طرق مدمرة يصعب السير فيها وساقوم بدهنها الآن بتركيبة اشـتريتها من بسـطة احد البائعين ، فاسـتدرنا نحو الخالة حليمة التى ابتسمت قائلة : اخبرونى اولا ما رايكم فى هذا الجمال ؟ قالت ذلك وهى ترفع إياد وهو يرتدى حلة جديدة وقالت : لم اوافق على ان يرتدى المستعمل وابتعت له هذه واثنتين أخرتين ،، فقمنا فرحين نحمل إياد وقد بدا فى الابتسام لنا . ثم توقفت وسالتها : ومن اين ياتى المستعمل ياخالة فالجميع هنا سـواء كانوا سـكان او نازحين لديهم مايكفيهم بالكاد فلا احد يبيع او يعطى شيئا مما لديه.

فقالت : ساشرح لك .. قابلنا فى السوق بائع على بسطة اسمه ابو عودة العزى يعرض ملابس واوانى واحذية كلها مستعملة فسالته من اين لك بهذا فقال : هى مهنة مستجدة ياخالة فرضتها علينا ظروف الحرب وسوء الاحوال ويعلم الله أننى ما كنت لافعل ذلك ولا اقبله ولكن ماذا افعل ولدى اربعة اولاد يحتاجون للطعام وحصيلة بيعى اشترى به طحين لاطعامهم.

فقلت له : هى تجارة وبيع وشراء فلما الفزع هكذا فما تفعله حلال لاشبهة فيه ،، فبكى الرجل وقال : انا ياخالة اجمع بضاعتى من بين ركام الدور التى تم قصفها أنا وغيرى ندخل الدار ونقوم بإخراج مانستطيع ونقوم ببيعه فانا محتاج ومن يشترى محتاج وكل منا مضطر لهذا .

فقلت له المضطر لا لوم عليه وماتفعل هو للحفاظ على حياة اولادك فلا لوم عليك والدور متهدمة ولن يستفيد احد من الموجود فيها وحتى لو عاد اصحابها إليها فالأشياء لن تصلح للاستعمال ثانية فستكون فى حالة اسوأ ، وغدا ان شاءالله يزول كل هذا وينتهى الكابوس شكرنى الرجل رغم أننى لم اشتر منه شيئا ، ثم ذهبنا لسوق الخضروات والفواكه وابتعنا

البطاطس الكيلو الواحد بســـتة دولارات فتحنا افواهنا من الدهشـة من ارتفاع السـعر فقالت الاسـعار مبالغ فيها وليس لنا اختيار واشترينا كيلو من اللحم لن اقول ثمنه وطماطم وبصل وحمص واشــترينا هذا الموقد الصــغير لنطهو عليه وانبوبة الغاز هذه وسنعاود ملؤها كلما انتهى الغاز فيها.

وقد سمعنا فى السوق عن وجود تكايا لتوزيع الطعام ينفق عليها اهل الخير هنا وفى الخارج ولكن اباك منعنا حتى من الاسـتفسـار عن مكانها ولكنى سـاتصـرف واعرف فالظروف على مايبدو ســتطول ويجب علينا تدبير امورنا اذا ســاءت الاحوال فقد قابلت سيدة تشتكى من عدم قدرتها على الشراء بعد ان نفذت اموال اسرتها واصبحت تقف فى طوابير للخبز واحيانا لاتستطيع الحصول على رغيف.

واثناء حديثنا سـمعنا صـوتا لاتخطئه اى أذن وبدات غارة من طائرات العدو الحربية لمطاردة افراد من فصائل المقاومة ولم يدرى اى منا ماذا نفعل وإلى أين نذهب ولم نجد إلا تسليم الامر لله وليكن مايكون فجلسـنا جميعا واجمين وقامت الخالة حليمة باحتضــان إياد لتخفف عنه اصـوات القصـف العنيف

حتى انتهت الغارة مخلفة حرائق فى عدة خيام وشـــهداء ومصابين.

مضت ايام حتى بدانا فى التعافى من القصف و لملمة آثاره ودفن الشـهداء كيفما اتفق ومسـاعدة المصـابين وكان ابى قد اشـترى بعض مسـتلزمات الاسـعافات الاولية وسـلمها للخالة حليمــة التى اشـــتركـت مع آخرين فى المخيم فى علاج المصابين.

ثم ذهبنـا للاطمئنـان على جيراننـا الطيبين الحـاج على والخالة ابتهاج فوجدنا عندهما نفس السـكينة والطمأنينة التى شعرنا بها فى زيارتنا الاولى لهما وقدما لنا الشاى ايضا وهذه المرة كنت أنا وترف واشـجان وقد سـال الحاج على والدى وعمى وكان قد قابلهما اثناء دفن شـهداء القصـف ولكن ترف لم تمهله وقالت : وعدتنا ياعمى باسـتكمال حديث سـابق هل تذكره ؟ فابتسـم وقال : نعم يابنتى واتذكر شـغفك للاسـتماع ايضا فقالت : إذن فلاوقت نضيعه فى الترحيب ونستكمل فقال لها : اين وقفنا ؟ فقالت : بل سؤال جديد يؤرق مضجعى فقال :اسألى ولو الإجابة عندى لن ابخل بها فقالت : هى عندك ان شـاءالله فقلت لها : اختصـرى ياترف ولاترهقى الحاج فقالت

هو سؤال يسأله الجميع : من له الحق فى هذه الارض ياعمى ؟

اعتدل الحاج على فى جلسته وبدا حديثه الشيق دوما

وهو يقول : من اكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة عام سكن الكنعانيون هذه المنطقة والتى كانت تشمل فلسطين وسوريا ولبنان والاردن وكان اصلهم عرب ساميين من نسل سام ابن نوح .

وبعد الطوفان كان الجميع وثنيين حتى اتى إبراهيم عليه السلام بالرسالة وواجه النمرود بن كنعان وبعد نجاته منه هاجر فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد إلى فلسطين ومصر ومن نسل ابراهيم كان اسماعيل واسحاق وقد استقر اسماعيل فى الجزيرة العربية وتزوج هناك اما اسحاق وبعده يعقوب فقد عاشوا فى المنطقة هنا فى أرض كنعان وسمى يعقوب يسرائيل اى عبد الله ثم سافرت الاسرة كلها الى مصر وعاشوا مع يوسف عليه السلام وكان ذلك فى عهد الهكسوس وكان ارتفاع شانهم ومكانتهم سببا فى ان تتشوه نفوسهم ويملؤها الكبر فقد عاشوا معززين مكرمين واستمروا فى العيش فيها لمدة اربعمائة وثلاثون سنة عاثت ذرياتهم فيها

فسادا وسط المصريين . فمنذ العام ألف وخمسمائة وخمسون قبل الميلاد مارس بنى اسـرائيل الربا وتخريب الاقتصـاد والاخلاق وزرع الفتن والقتل والنهب وكان بينهم قارون وقد ساندوا الهكسوس ضد المصريين الذين اكرموهم وساندوهم قرون من الزمان وحين بدا فرعون اضـهادهم كانوا منبوذين من اقباط مصـر ايضـا بسـبب خيانتهم حتى ان مسـالة حلم فرعون و أنه قتلهم لان منهم من سيغتصب عرشه فقد كان هذا تفسـيرا اوجده ابن كثير فى كتابه مجرد اجتهاد منه وانتشر بعد ذلك كامر مسلم به ، فسبب كراهيتهم هو فسادهم وافسادهم اينما وجدوا وكان قرار فرعون بقتل ذكورهم هدفه إفناء ذكرهم ولكن كتب الله لهم النجاة وخرجوا وانشـق لهم البحر واهلك فرعون فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

فى هذه الاثناء لم يكن مسمى اليهود قد ظهر فى الوجود.

وبعد خروجهم من البحر وغرق فرعون راوا انـاسـا يعبدون الاصـنام فصـنع لهم السـامرى عجلا فعبدوه ثم سـألوا موسـى : هل سنرجع إلى الارض التى كان اجدادنا يعيشون فيها ؟ الآن يسـكنها العماليق احفاد الكنعانيين إنا إذن لن ندخلها إلا إذا خرجوا منها فقال لهم : ادخلوا عليهم الباب فقالوا لن ندخلها ابدا اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون .. وحسـب القانون الإلهى يا بناتى فإنه ماترك قوم

الجهاد إلا ذلوا فكتب الله عليهم الذل بالتيه اربعين ســـنة يدورون فى الصحراء فلايجدون منها مخرجا حتى فنى جيل الذل ، وجاء من بعده جيل يستحق فرصة جديدة.

وكانت الخالة ابتهاج فى هذه الأثناء وحين لمســت اهمية مايحكيه زوجها فقد طلبت منه ان يوقف الســرد حتى تجمع بقية أولاد الحاج حجى والحاج غيث والمقربين منهم من اولاد النازحين حتى تعم الفائدة وقد ارسلت لهم بالفعل ولكنه فوجئ وقال لها : ولكنها مجرد حكايات كما ان خيمتنا صغيرة فكيف يكون ذلك .. وهنا كان وصــول أبى وعمى وقررا مع الحاج على أن يكون اللقاء بالمخيم خارج الخيمة واصــطحبا الحاج وكانا قد اختارا مكان مشـمس على الشـاطئ ووضـعا وسـادة للحاج يجلس عليها.

جلس الحاج وهو يقول : ولكن ما أحكيه لايستحق كل هذا وهو مجرد قراءات قد يكون منكم من قرأ مثلها فقال عمى : ســـمعت من ترنيم وترف ما قمت بســـرده وهو دقيق جدا ورســـالتنا يا اخى أن نذكر الاجيال القادمة أن هذه الارض ارضهم وأرض اجدادهم وأن هؤلاء القوم كانوا يعيشون كأى اقلية وكقبيلة.

سنجلس الآن أنا وحجى لنسمع ابتسم الحاج وقال لترف : ذكرينى يا ترف اين وقفنا فقالت : عند سنوات التيه ياعمى.

فقال عمى : قبل ان يواصل الحاج على ونسمع جميعا أود ان اخبركم انه فى معبد الملك المصرى تحتمس الثالث كتب ان شعبا حارب معه فى بلد اسمه فلسط فى العام ألف ومائة وخمسون قبل الميلاد وقد سجل ذلك فى نقش وبردية.

شكره الحاج وقال : هى معلومة لم اكن اعرفها شكرا لك ياحاج غيث ،، والآن نستكمل : فبعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام جاء يوشع بن نون ودخل بهم ارض كنعان ومع داود عليه السلام اصبح لهم مملكة حكم فيها داود ومن بعده سليمان .. دخلوا الارض بعد ان قتل طالوت جالوت وكان ذلك مع بداية العصر الحديدى اى بداية استخدام الانسان للحديد.

وهنا لابد ان تعلموا جميعا انهم حين دخلوا القدس كانت مدينة قائمة وموجودة منذ القرن الثلاثين قبل الميلاد وكان يحكمها اليبوسيين وكان يحكمها ملك صادق وقد استقبل ابراهيم الخليل بعد هجرته من وجه النمرود وقد اطلق هذا

الملك على القدس اور سالم وهو الاسم الذى حوله الصهاينة إلى أورشليم.

اعلموا انهم لم تقم لهم مملكة وحكم الا مابين عامى تسعمائة ،، وخمسمائة وسبعة وتسعون ق.م فى مملكة اسرائيل فى الشمال على يد برعام بن نباط ويهوذا فى الجنوب على يد رحبعام بن سليمان والتى تعود تسميتها ليهوذا ابن يعقوب عليه السلام ومنها جاءت تسميتهم باليهود.

وقد اغتصبوا الارض من الكنعانيين واليبوسيين بعد كانوا قبيلة ولم يكونوا حكاما ولا اصحاب ارض وبعد ان استقروا بدأ فسادهم وافسادهم المعتاد.

هل تكمل انت ياحاج غيث واستمع انا مع الاولاد ؟ فقال عمى : حسنا وقد احسنت ياحاج على احسن الله اليك.

استكمل عمى الحوار قائلا : استمرت الامور هكذا حتى أتى نبوخذ نصر وسوى المنطقة كلها بالأرض وذلك فى العام خمسمائة وسبعة وتسعون ق.م وشرد اليهود فى بقاع الأرض ونجد هنا أول ذكر لمسمى هيكل سليمان الذى ظهر للمرة الأولى حين قالوا لجيش نبوخذنصر : سنغادر ولكن قبل ذلك

اعلموا أنه كان لنا فى القدس معبد سليمان هدمه الفلسطينيون وبنوا فوقه بيت المقدس فمن حقنا ان نحفر ونعيد بناء الهيكل وسمح لهم ببناؤه رغم أنهم يعلمون أن هذا غير حقيقى وأن فلسطين موجودة قبل مجيئهم مع يوشع بن نون .

ثم يأتى قورش الفارسى وينتصر على نبوخذنصر ويعود اليهود كجاليات دون حكم وذلك فى العام خمسمائة وتسع وثلاثون ق.م. ثم يأتى الاسكندر بعد ذلك بسبع سنوات ثم البطالمة والسلوقيين وتبقى المنطقة هكذا حتى جاء الرومان فى العام ثلاثة وستون ق.م وقد تودد اليهود للملك الرومانى بومبيه العظيم الذى ترك لهم قطع من الاراضى يحكمونها تحت ولايته وقد قسمت فلسطين من قبل الدولة البيزنطية الى **فلسطين الاولى** وتشمل نابلس والقدس والخليل والسهل الساحلى حتى رفح

فلسطين الثانية وتشمل الجليل وام منسى وقلعة الحصن وطبريا وعاصمتها بيسان

فلسطين الثالثة وهى بلاد الانباط وديار سبع

وبهذا استقر اسم فلسطين وعند الفتح الاسلامى كان هذا اسمها وقد وجدت عملات بعد الفتح باسم فلسطين.

واستمر ذلك حتى ولادة المسيح عيسى عليه السلام الذى اشاع اليهود أنه ابن السيدة مريم من يوسف النجار وحين بعث المسيح بالرسالة حرضوا عليه الرومان بحجة انه يخطط للقيام بثورة ضد الملك الرومانى للاستيلاء على الحكم فبدأت مطاردة الرومان للمسيح وقبض عليه بوشاية من تلميذه يهوذا ،، ثم حكم عليه بالصلب وصلب ثم كانت قيامته من الموت طبقا لاعتقاد المسيحيين وتعرض انصاره بعد ذلك للاضطهاد الذى اوقفه قسطنطين فى العام ثلاثمائة واربعة وعشرون .

وهنا تدخل الحاج على بإضافة بعد استئذان عمى قائلا : اليهود لايؤمنون بعيسى المسيح وانه ليس المخلص وأن المخلص سيأتى فى آخر الزمان وهو الماشيح أو الماسيح.

شكره عمى واستكمل : بعد قرون وبعد ان استعاد المسيحيون قوتهم بدأت المذابح انتقاما من اليهود فهربوا من فلسطين وتفرقوا بين البلاد فى اوروبا وافريقيا وذهب البعض منهم الى المدينة المنورة فى العام ستمائة وعشرة بعد الميلاد.

وفى العام ستمائة واربعة عشر هاجم الفرس الروم فى بيت المقدس وطردوهم (غلبت الروم فى أقصى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)صدق الله العظيم

وكان الفرس مشركين والروم مسيحيين أى اهل كتاب

تدخل الحاج على مضيفا : ولعب اليهود نفس دورهم فى التآمر فاتخذوا جانب الفرس وحاربوا معهم وذلك انتقاما من المسيحيين إلا ان الفرس قاموا بطردهم.

بعدها انتصر الروم على الفرس واستولوا على كل الارض فى العام ستمائة وسبعة وعشرين وذلك فى معركة نينوى والتى انتصر فيها قيصر الروم هرقل على كسرى الفرس راهزاد.

توجهت قبلة المسلمون الى بيت المقدس .. وبعد الهجرة من مكة للمدينة كانت لقبائل اليهود من بنو قريظة السيطرة على سوق الذهب وبنو النضير وبنو قريظة على الزراعة وهما عصب اقتصاد المدينة.

وفى خلافة الفاروق عمر بن الخطاب والذى فتح بيت المقدس فى العام ستمائة وسبعة وعشرين للميلاد على يد عمرو بن العاص ، لم يكن بها يهودى وقدم عمر العهدة العمرية التى حفظت للمسيحيين كافة حقوقهم وذلك بعد ان تسلم مفاتيح القدس من بطريرك القدس صفرونيوس.

وفى حطين فى العام ألف وسبع وثمانون أمر صلاح الدين الايوبى بإعادة بناء كنيس اليهود الذى هدم وحرق وهم بداخله وسمح لهم ان يعيشوا فى القدس .وفى الواقع فإن اليهود لم يعيشوا حياة طبيعية وفى سلام إلا تحت الحكم الإسلامى باعتبارهم أهلا لكتاب يؤمن به المسلمون ، ولم تتحملهم اوروبا وروسيا فى كافة الدول التى عاشوا فيها وطردتهم دول مثل فرنسا مرات عديدة وطردوا من المانيا وإيطاليا والتشيك والبرتغال وليتوانيا وسويسرا وفى روسيا التى حكمت عليهم الحياة فى اماكن خاصة مع إعمال الذبح بهم وفى بريطانيا لبسوا شارات صفراء وتم اعدام المئات منهم واسبانيا ومحاكم التفتيش التى كانت ضد المسلمين ولكنهم أدخلوا فيها اليهود للخلاص منهم.

لن أطيل عليكم ولكن يبقى الحق التاريخى ثابت لأهل فلسطين العرب الذين سكنوها قبل غيرهم ومصدر الاسرائيليين لأحقيتهم هو كتابهم المقدس ففيه وعد الاله ابراهيم ان تكون هذه الارض لنسله فهى ارض المعاد التى سيعود اليها اليهود تحت قيادة الماشيح المخلص .. والتوراة كتاب لايصلح ان يكون وثيقة تاريخية موثوق بها علاوة على ان الجميع من نسل ابراهيم .. واما عن وجود وجود اليهود فى فلسطين فقد كان متقطعا بينما كان وجود العرب مستمر من ثلاثة آلاف سنة ق.م .وحتى الآن واخيرا فقد كذبت الحفائر الاثرية ادعاءاتهم فلم يعثر على أثر لهم والمصادفة ان الحفائر اغلب من قاموا بها كانوا من اليهود.

وهنا أضاف الحاج على : ولو كانت العبرة بمن سكنها أولا فالعرب الكنعانيين اول من سكن ارض فلسطين وهم قبائل عربية هاجرت من شبه الحزيرة العربية واستقرت فى فلسطين فى هجرة أولى تبعها هجرة ثانية لليبوسيين وهم فرع من فروع العرب الكنعانيين وأسسوا مدينة يبوس او أور سالم وتركوا آثار تم اكتشاف بعضها فى العام ألف وتسعمائة وثمانية وستون وأهمها قلعة فى جبل الزيتون وظل الكنعانيين اليبوسيين يحكمون القدس حتى سقطت منهم بتدخل عسكرى من النبى داود عليه السلام وقد حكمها اقوام شتى خلال هذه الفترة وبقى سكانها الكنعانيون بها دون انقطاع.

وهل تعلمون أن غزة لها اســـما يطلقه عليها العرب هو اسم غزة هاشم ؟

سألته باستغراب : ومن اين هذا الاسم ياعمى ؟

فاجاب : هو هاشم بن عبد مناف جد الرسول عليه الصلاة والســـلام وكانت له تجارة بين غزة ومكة وكان وهو يغادر غزة يقوم بتهشيم الثريد لقومه فى سنتين كانتا عجافا فتغير اسمه بسبب ذلك من عمرو إلى هاشم ،، وقد توفى هاشم فى غزة ودفن بها وله ضريح موجود فى جامع السيد هاشم فى حى الدرج بناه المماليك ورممه السلطان العثمانى عبد الحميد ..بالمناسبة ايضا فقد كان لغزة اكثر من اسم فعند الكنعانيين كان اسمها هزاتى وعند قدماء المصريين كانت غزاتو وعند اليونانيين عزاتى وعند الانجليز كازا .. اما عند الاتراك فهى غزة كما عند العرب.

نعود لموضـــوعنا : هكذا فقد حكم اليهود أجزاء فقط من فلسطين وليس فلسطين كلها حوالى اربع قرون فقط وقد زال حكمهم بينما ظل اهلها الســـكان الأصـــليين مرابطين على أرضهم.

واخيرا فإن الحكم الاسلامى لفلسطين هو الأطول واستمر ألف ومائتى عام من ســـتمائة وســـتة وثلاثون حتى الف وتسعمائة وسبعة عشر.

باستثناء فترة الحروب الصليبية التى استمرت ثمانون عاما بالقدس وفلسطين ولذلك فإن صلة اليهود بفلسطين قد انقطعت عمليا لمدة ألف وثمانمائة عام.

اعلموا يا شباب مستقبل فلسطين ان : فلسطين أرض عربية اول من سكنها الكنعانيون وهم شعب عربى سامى.

أما عن سيدنا إبراهيم عليه السلام والذى أتى من نسله العرب واليهود فقد هاجر إلى فلسطين ومكث بها بعض الوقت قبل ان يتجه إلى مصـــر ومن بعده عاش اســـحاق ويعقوب وذريتهما فى فلســـطين و لم تزد مدة اقامتهم عن مائتين وثلاثون عاما قبل ان يتجهوا الى مصر ايضا.

اما اليهود الحاليين فهم من ســـلالة الخزر وعليهم ان يطالبوا بحقهم التاريخى بمملكة الخزر بجنوب روسيا وليس فى فلسطين فليس لهم بها أى حقوق.

انتهت جلسة اليوم ولكننا رغم كل ماسمعنا فى حاجة للمزيد فتفرقنا على وعد من عمى والحاج على بجلسة اخرى.

ذهبنا إلى خيمتنا ونحن نتعجب لما يفعلونه بنا الآن ولكننا اقتنعنا بأن الميزان سيعتدل وان لعنة القرن الثامن ستأتى وستهدم حصونهم وتعود الأرض لأصحابها.

بقينا فى خان يونس فترة طويلة ولما ازدادت الغارات بشكل مخيف قررنا العودة للدرج وبعد تجهيز حاجياتنا ذهبت لتوديع الخالة ابتهاج والحاج على وكان وداعا حزينا حين قلت للخالة إلى لقاء فقالت بل وداعا بلا لقاء فلا أمل فى لقاء آخر ، وبكيت حين علمت أن الحاج على قال نفس المعنى لأبى وعمى حين ذهبا لوداعه .

بدأنا رحلتنا للدرج ووصلنا بعد نفس العناء الذى اصبح رفيقا دائما لنا .. وكنت قد طلبت ان أذهب فى زيارة سريعة لحى الزيتون ليلا وانا متخفية فوافق ابى وعمى بعد الحاح منى بشرط الا اقترب من بيتى او بيت ابى ،، وبمجرد ان استرحنا من الطريق وقمنا لتجهيز شيئ بسيط من الطعام حتى رأيت أشجان وخديجة تضحكان فلما سالتهما أشارتا لى أن آتى إليهما فسمعت أبى يقول لعمى : ياه ياغيث اشتقت لأرجيلة مع فنجان من القهوة والاثنان اصبحا بعيدا المنال

الآن ،، ضحك عمى وقال بل سيكونا بين يديك الآن ونادى على اشجان لتحضر الارجيلة وترف تصنع القهوة فبدت السعادة على وجه أبى والذى كان شبه مدمن للاثنتين .. حملت القهوة لهما وقلت : سؤال لكما فانتما الإثنان من مدمنى الارجيلة فضحكا وقال عمى بل اسالى أباك فهو يدخنها اكثر منى بكثير .. لا بل السؤال لك ياعمى فقال اسألى وامرى لله فسألته : الأرجيلة او النرجيلة من اين اتت ومامعنى اسمها ؟ أعتقد ان السؤال سهل ياعمى ولا حجة لديك لعدم الرد فقال : بل سأرد ياابنة أخى المناكفة : فهى كلمة فارسية وتعنى ثمرة جوز الهند فالأصل أنها كانت تصنع من ثمرة جوز الهند بعد افراغها فيوضع بها الماء . ولذلك حين وصلت مصر سماها المصريون جوزة من جوز الهند وفى فارس صنعت من الزجاج فسميت شيشة اى زجاج بالفارسية.

ومن اين اتت ياأبى سألت اشجان فرد عمى جاءت من شرق آسيا ، ساخبركم بهذه المناسبة بشيئ طريف : فقد شاهدت شابا من حى ابو طعيمة بمنطقة عبسان بخان يونس يجلس فوق ركام داره الذى دمره الاحتلال وهو يدخن النرجيلة ، ضحكنا فقالت خيرات : نحن شعب الجبارين ياابى ألم تعرف بعد أم ماذا!! ؟ ضحكنا جميعا ثم قالت زوجة عمى مقلدة المصريين : اللهم اجعله خير فقلنا آمين وذهبنا للنوم.

بتنا اول ليلة وكان شعور الدار بالنسبة لنا حضنا احتمينا به بحثا عن الأمان الذى كنا نفتقده ، حتى على المستوى المادى فرغم سوء الخدمات إلا أنه يكفى وجود حمام خاص بنا بعد المرحاض العام الذى كنا نقف بالطابور عليه ويكفى ان يغلق باب علينا وأشياء اخرى كثيرة جعلتنا فى حالة من الحنين بمجرد أن خطونا داخله . ما أجمل ديارنا وما أحنها . وفى اليوم الثانى وحين حل الظلام طلبت الذهاب لحى الزيتون ووعدت أبى انها ستكون ساعة أمشى فقط فى الحى وأعود .. ولكن ابى اشترط ألا أذهب وحدى واقترح أن تذهب معى الخالة حليمة إذا وافقت ، لم امانع وهى كذلك فصحبة الخالة تسرنى دائما ، خرجنا و حين وصلنا الحى لم أصدق مارايت فليس هذا حى الزيتون الذى اعرفه ومانرى الان هى اكوام من الركام سرنا بينها غير مصدقين ما نجد امامنا من ركام واطلال لديار كانت بالامس القريب قائمة ويستعد أحدها لإقامة حفل زفاف .. وفجأة وقفت وانا لا اصدق ما ارى وسألتنى الخالة ما بى فسالتها : الا ترين ياخالة هذه الأطياف المضيئة! ؟ فإذا بها تنظر لى بدهشة قائلة : هيا ياترنيم فلنعد الآن إلى الدرج فقلت : تحسبيننى واهمة ياخالة أليس كذلك ؟ فردت على قائلة : أو لست واهمة يابنتى! ؟ أعلم مدى حنينك للحى ولدارك ولذا اقدر ما انت عليه الآن فلاداعى للوجود هنا اكثر من ذلك ولنمضى ..

طلبت منها أن نسير بضع خطوات أخرى ، لا ليست خيالات فانا ارى بوضـــوح داخل أطلال الدور وحتى فى الادوار المتعددة المتهدمة .. أرى أطياف النور تقف بثبات فى طوابق ادوار الديار وفوق الركام !! يا الله ثبت قلبى وارزقنى يقينا يهدئ من روعى ويمنحنى طمأنينة تأنس بها روحى وسط هذا الفزع والدمار حدثت نفســى بصــوت مسـموع : ماهذا الذى ارى! ؟ أهو جلاء بصـرى!! ؟ ومن ارى امامى الآن هل هم من أهلى ومن اهـل غزة أم من الغـابرين. ؟ عجزت عن الوقوف فجلسـت فوق الركام والخالة تحتضـننى وهى تبكى وانـا اقرأ مـا حضـــرنى من القرآن الكريم ثم قلت بنفس الصوت المسموع وانا اتذكر ماقيل عن غزة :

ياداخلا إلى غزة اخلع نعليك على بابها فترابها ليس ترابا كالذى تعرفه ولكنه رفات أجساد طاهرة من الشهداء .. سرت مع ام اياد وانا أنظر لاطياف النور وكأننى أعرف اصـحابها فسـلمت عليهم قائلة : سـلاما عليكم ايها الطيبين طبتم وطاب مسعاكم ونحن على العهد إن شاءالله مرابطين.

تركنا الزيتون وأنا فى ذهول تتملكنى مشـاعر متداخلة من السـعادة والطمأنينة واليقين باننا على الحق وأن تضـحيات رجال المقاومة وتحملنا لويلات العدو لن تضـيع هدرا وان علينا الاستمرار حتى يتحقق فينا قدر الله إما نصر أو شهادة.

عدنا إلى الدرج وانا على هذه الحال التى اسـتغربها الجميع فطمـأنتهم ام إيـاد أننى بخير واننى فقط متـأثرة من الزيارة وحين الحوا أن احكى لهم ما جرى ، طلبت منهم أن يمهلونى لأرتاح واحكى لهم وهو ما كان وانتقلت مشـاعرى إليهم فكانت حالتهم مابين مصـدق ومن يفكر فيما اقول ولكننى لاحظت ان أبى وعمى وزوجته صـدقونى سـريعا بل وحكوا قصصا متشابهة لاطياف النور هذه فى جميع انحاء فلسطين خاصـة فى غزة وحول المسجد الاقصـى وكانت هذه نقطة فارقة معنا جميعالتعميق يقين يزداد ويتعمق باذنا على الطريق الصحيح وان حقنا سيعود مهما طال الزمان .

بقينا فترة فى الدرج نواجه العنت وسوء المعاملة من جنود العدو بل لقد فوجئنا بأنهم وضـعوا تمركز لثلاث دبابات فى الشارع امام دار عمى ومع معاناتنا هذه وتحقيقات الاحتلال المسـتمرة والتحقيق بشـأن مازن وعبد الله والسـؤال عليهم وكانت إجابتنا حسـب ما اتفقنا عليه هى أنهم اسـتشـهدوا فى القصـف الاول مع زوج ابنة عمى ابية رحمها الله .. وحين شـعرنا بعدم تصـديقهم ومن اقتراب احد الشـرين إما الاعتقال او تفجير الدار انتظرنا حتى غادرت الدبابات الشارع ، وبدانا التحرك فى جنح الظلام فرادى حتى تجمعنا فى نقطة وبدانا رحلة جديدة للتعاسة والالم ، وكنا قد قررنا النزوح إلى رفح وجهتنا الاولى .ولن أحكى عما لاقيناه فى الطريق ولكننا فى النهاية وصـــلنا وكنا مع تحركنا الفردى والحذر قد تركنا المراتب والوســـائد واكتفينا بالملابس وبعض الطعام لزوم الطريق والادوية التى كان ابى قد اشـتراها وفيما عدا ذلك تركنا كل ما اشترينا من خان يونس .

وصـلنا حى المواصــى برفح بناء على منشـورات العدو بوجود اســتعدادات لاســتقبال النازحين وتوفير خيام وكافة الخدمات ،، ذهبنا ونحن نامل ان تكون الاحوال اكثر سـهولة ولكن ما وجدناه هو صورة من مخيم الشاطئ بخان يونس .. فحى المواصـى هو منطقة زراعية تملؤه الكثبان الرملية غير الممهدة فى اغلبها ولايوجد بالحى بنية تحتية حقيقية لشـبكات الماء والصـرف الصـحى ،،و تعتمد الحياة فيها على طريقين فقط هما طريق الساحل والطريق الإقليمى ، الواقع أن الحياة هنا اكثر صـعوبة من الحياة فى خان يونس ولكن كان لزاما علينا تغيير أماكن النزوح مع مافى ذلك من مشقة لنكون بعيدا عن أعين الاحتلال ، المواصـى هى شـريط سـاحلى يمتد من دير البلح مرورا بخان يونس حتى رفح بطول إثنى عشــر كيلومتر بعمق كيلو متر والمنازل فى المواصــى لاتزيد عن عشرات فسكانها الاصليين قليلين وقد جمعتنا المحنة و تعرفنا على بعضـهم ،،و مايسـر الامور علينا هنا هو وجود المزيد من الشيكلات جمعها ابى وعمى من بيع لبعض مايخصـنا فى الزيتون والـدرج اثنـاء وجودنـا فى الـدرج قبـل أن يرتكز الاحتلال بدباباته فى شــارعنا وقد اســتطاع عمى خلالها التواصـل مع مازن واخبره بخط سـيرنا إلى رفح وبعد ايام

أتى لزيارتنا عدة ساعات وهو متنكر حيث نصبنا خيمتنا وذلك بعد محاولاتنا استئجار شقة وتعذر ذلك فما وجدناه كان يفوق قدرتنا علاوة على أننا لانعلم إلى متى ستستمر هذه الاوضاع فقررنا الاستقرار فى الخيمة وادخار مانستطيع من المال لقادم الأيام.

فرح مازن بخبر حملى أيما فرحة وكان عمى قد ارسل له الخبر مع احد الاصدقاء ،، وكنت حين اتى إلينا فى أوائل الشهر السابع فطمأنته على وعلى ابنه او ابنته وأننى أصبحت اقوى الآن وخديجة وبنات عمى جميعنا أصبحنا اقوى حتى عزام أصبح رجلا فما مر علينا من مواقف واحداث يجعل الرضيع رجلا .. مضى الوقت سريعا ولم تسمح الظروف ان يكون بيننا لقاء وانصرف لعمله سريعا ،، مضت بعدها اكثر من عشرون يوما حين فوجئنا بشاب يسأل عن اسم ابى الوهمى ،، وكان هذا الشاب زميلا لأخى عبد الله وقد بلغنا الشاب بخبر استشهاد أخى عبد الله فى عملية قال انها اوجعت العدو وكيف انه كان بطلا وانه نطق الشهادة امام زملاء خليته العقدية وهو منهم وأنه حضر إلينا اليوم فى المواصى ليخبرنا بما كان من امره وانه من فرحته به جاء متطوعا ليبلغنا بالخبر.

اختلطت المشاعر لدينا مابين بكاء وفرح ووقف ابى يشكر الشـاب وهو يبكى ولكنه فخور بابنه ودعا للشـاب وزملاؤه بالسـلامة وبقى وحيدا يبكى تارة ويفرح ويهنئ نفسـه بشـهادة ابنه البطل تارة.ونحن حوله على نفس الحال.

يومها كنت فى نهاية الشهر السابع وشعرت بآلام عرفتها زوجة عمى والخالة حليمة وقالتا فى نفس واحد : هذه ولادة ..أى أننى سـألد فى الشـهر السـابع خرج الجميع من الخيمة وبقيت الإثنتان معى بعد أن سلمت الخالة حليمة إياد لأشجان.

ازدادت الآلام بشكل شعرت معه بأن أجلى قد حان فدعوت الله ألا تكون نهايتى الآن وان تكون وانا شـهيدة فى ميدان المعركـة وفى مواجهـة العـدو انتقـامـا لأخى أو تقـديم أى مساعدة للمجاهدين وكان ما دعوت به قد سجل فاستجاب الله لدعائى وكما كانت ولادة أبية كانت ولادتى سـهلة ميسـرة وجاءت ابنتى سـليمة وعلى خير حال ،، وكنا قد اتفقنا انا ومازن ان أسمى انا الولد ويسمى هو البنت وقد اختار لها اسم سلام.

واصبح لدينا فى عائلتنا الآن إياد وسلام ملاكان خففا من وقع الأحداث ومن مرارة الأيام علينا وصـــار لدينا ما يبهج وسط الكآبة فى المخيم هنا.

ومع سوء خدمة الاتصالات فقد كان مصدرنا للمعلومات هو محطة الراديو الذى تبثه قناة الجزيرة ،، ومصـــدر آخر وهو الســائقين على الطريق والذى تصــل إليهم كل الاخبار ويســـتطيعون التحرك ونقل الاخبار اذا اســـتطاعوا بين المجاهدين وذويهم ومنهم كانت تصلنا اخبار ياسين ومازن.

اليوم هو الاربعاء الحادى والثلاثين من يوليو/ تموز وكان يوما لاينســى حيث كانت جلســتنا خارج الخيمة نتناقش فى مايخص الاحوال هنا ،، وكان طوفان الاقصى قد مضى عليه نحو تسعة اشهر حين فجعنا ونحن نتابع الاخبار فى الراديو بخبر استشـهاد رئيس حكومة غزة السيد إسماعيل هنية أبى العبد ليلحق بمن ســـبقوه من ابنائه واحفاده وقد تم الاغتيال بقصـف إسـرائيلى لمقر إقامته بالعاصـمة الايرانية طهران حيث كان ضيفا حضر لتقديم التهنئة بتنصيب رئيسا جديدا للبلاد.

وقف أبى حزينا فقد كان من محبى البطل القائد وجميعنا كذلك ووقف يقول : أليس لطغيانهم آخر ألا توجد أى خطوط حمراء لديهم وللاسف العالم كله يساندهم وكنا قد صدمنا لاعلان صك البراءة الذى اصدره الفاتيكان فى العام الف وتسعمائة وخمس وستون بأن استبعدوا ان يكون لهم علاقة بقتل المسيح ، بالرغم من أن مايقوم عليه التاريخ المسيحى فى الاصل هو ماحدث للمسيح وكيد اليهود له عند الرومان وملابسات قتله على الصليب ثم قيامته من الموت حسب معتقدهم ،، أنا سأفقد عقلى ياأخى ولم اعد استغرب من حدوث اى شيئ فكل امر مهما بلغت غرابته او بشاعته وارد الحدوث .

هدأ عمى من روعه وعم الحزن المخيم وقطاع غزة كله وفى الواقع ان الحزن عليه كان فى دول عديدة خارج فلسطين .. تابعنا بعدها جنازته حيث تم دفنه فى قطر ورأينا صور لامير قطر يبدو عليه فيها الحزن الشديد وقد لبس غطرته بدون العقال تعبيرا على مكانة الشهيد لديه.

ترك خبر استشهاد أبى العبد لدينا حزنا عميقا فقد كان فى طلته وخطاباته ما يمنحنا الامل والطمأنينة وكنا نشعر به والدا حنونا لنا جميعا .

وكالعادة لم نقف كثيرا عند الحزن فهذا ترف لانملكه وسارت حياتنا القاسية كما هى فكنا فى سعى مستمر بين توفير الضـــروريات حفاظا على حياة اطفالنا وحياتنا وبين توديع شـــهيد اوعلاج مصـــاب وفوق كل هذا كنا دائما فى انتظار قصـــفا لانعرف له موعدا ولانعرف على أى خيمة سيكون.

مضـت الأيام صـعبة وكئيبة وكنت قد ذهبت إلى السـيد عدنان ابو حسنة مسئول الاونروا احاول تسجيل إياد وسلام للحصـول على حليب لهما وكنت قد حصـلت علي علبة لكل منهما فى مرة سابقة وطلب منى أن أسجلهم فى المرة القادمة ولكنه اخبرنى الآن ان المسـاعدات متوقفة تماما ولاتدخل أى شـاحنات ، وان على ان اتوجه لأحد التكايا التى تقدم الطعام فقد يكون لديهم حليب للاطفال.

عدت حزينة محبطة ولا ادرى كيف أتصرف فالاولاد فى حاجة للحليب الخاص بهم. حتى لا تتضرر صحتهم وعند الخيمة قابلت ام إياد التى قالت لى حين اخبرتها عن سبب ضيقى : هونى عليك يابنتى فإن الله لن يتركهما و سيرسل إليهما رزقهما ولكن أمور تغذيتهم تسير بقدر معقول فأنا أسقيهم ماء الأرز وماء القمح والشعير المسلوقين وترين بنفسك أن جيراننا من النازحين يتسابقون لتقديم ذلك على قدر استطاعتهم حين يعلمون بوجود أطفال رضع.

اطمانت نفسى قليلا وفى الحقيقة فقد كان كلامها دائما يريح النفس ويبعث على الطمأنينة ما جعلنا نرفض طلبها حين أرادت أن تفارقنا واخبرناها جميعا انها اصبحت فردا فى عائلتنا ،، فهى أم إياد.

جلست بعدها وأنا أشعر بانقباض فى قلبى لا ادرى له سببا ولا ادرى أيضا لماذا توجهت إلى عمى وسألته : ألا يوجد اخبار من مازن ؟ فأجاب : لقد ارسلت شخصا للسؤال عن اخباره ومن المحتمل عودته خلال أيام وان شاءالله يطمئننا عنه ولكن اخبرينى يابنتى ما بك ؟ اراك حزينة بعد ان كنت دوما محط تفاؤلنا! ؟ فقلت : لا ادرى ياعمى ولكننى اشعر ببعض القلق على مازن واريد ان اطمئن.

وكنت أجلس وفى حضـنى سـلام فلاحظت أنها دافئة قليلا فلم ألتفت للامر وارضعتها بعض من ماء الارز المسلوق فقد جف اللبن فى صدرى من سوء التغذية ونامت سريعا وقمت بوضـعها على فرشـة بالخيمة وخرجت لاسـتنشـاق بع الهواء لأفاجأ بالخالة ام إياد بعد سـاعة تخبرنى بارتفاع درجة حرارتها ولابد من عمل كمادات من الماء البارد وسـتعطيها معها ايضـا نقاط من الدواء الخافض للحرارة ونبهت على ان التفت دائمـا للحرارة وأحـذر من ارتفـاعهـا وأنهـا أخطر مايواجه الرضع .

اسـتمر الحال حتى المسـاء فقالت الخالة حليمة : لابد ان نذهب بسلام للمستشفى فقلت : ولكننا لانعرف مكان مستشفى فقالت : سـمعت عن مسـتشـفى القدس هنا فى المخيم وهو مسـتشـفى ميدانى وانا سـآتى معك .. فقلت لاداعى ياخالة سأذهب انا وخديجة وسأسال عن المستشفى.

ذهبنا للمسـتشـفى المزدحم بالمرضـى والمصـابين مع امكانيات محدودة ولكن لحسن حظنا فقد وجدنا طبيبة للاطفال به وبعد الكشف اخبرتنا بان سلام مصابة بنزلة شعبية حادة واننا إن لم نهتم بها فسيتحول الامر إلى التهاب رئوى وكتبت

الدواء الذى لم يكن متوفرا بالمستشفى ،، فعدنا إلى خيمتنا وذهب عمى لشراؤه من صيدلية يعرفها فى السوق وتبادلنا أنا وخديجة عمل الكمادات.

وبدأت الحرارة تنتظم بعد تناول الدواء مع استمرارنا فى الكمادات.

كنا فى هذه الأثناء نتابع الاخبار والعمليات العسكرية بين المقاومة والاحتلال مع استمرار جبهات المساندة فى القيام بدورها خاصة حزب الله اللبنانى الذى استهدفه الاحتلال فى السابع والعشرون من سبتمبر/ ايلول بغارة جوية بمقر الحزب بالضاحية الجنوبية ببيروت حيث وصلت معلومة للكيان باجتماع قادة الحزب فقامت بتفجير المبنى كله وكان مقر الحزب تحت الأرض فطاله القصف وأصبح المبنى كومة من الركام واستشهد السيد حسن نصر الله رئيس الحزب .. وخلفه السيد هاشم صفى الدين الذى استهدف هوالاخر بقصف جديد .. وخلفه السيد نعيم قاسم وهو الرئيس الحالى للحزب.

فقال ابى : مايحدث الآن وهذا الجنون يثبت أنهم تيقنوا أنهم هم ودولتهم إلى زوال وقد قالها الكاتب الصـهيونى الشـهير آرى شـبيت فقد قال : يبدو أننا نواجه اصـعب شـعب عرفه التـاريخ ولا حـل معهم سـوى الاعتراف بحقوقهم وإنهـاء الاحتلال .. ويبدو أننا اجتزنا نقطة اللاعودة ولم يعد بإمكان اسرائيل وقف الحرب وإنهاء الاحتلال وتحقيق السلام .. ولم يعد بالإمكان إصـلاح الصـهيونية وإنقاذ الديمقراطية وإذا كان الوضع كذلك فلا طعم للعيش هنا ولا للكتابة فى ها آرتس فقد انتهى الامر ويجب توديع الاصدقاء.

وهو ليس الوحيد ولكن هناك الكثيرين الذين يرون ان هذه هى نهاية اسـرائيل فاختار بعضـهم المغادرة الآن والبعض يخطط لفعل ذلك قريبا والبعض فى انتظار النتائج وسـيقرر البقاء او المغادرة.

مهزومون ياعمى قالت أشـجان ثم أكملت : هم مرعوبون والله .. يقتلوننا وهم خائفون هم محكومون بالخوف كما قالت المناضـلة الكبيرة ليلى خالد مثلى الأعلى فى الوطنية والتى قالت ان طوفان الاقصـى هو اول خطوة فى طريق التحرير بعد كفاح قارب المائة عام . فقلت : سـمعت أنها قامت

باختطاف طائرتين هل هذا صـــحيح ؟ بما أنها مثلك الأعلى فالاجابة عندك أكيد ! اجابت : صـــحيح ماقلت اختطفت طائرتان الاولى نجحت وحققت أهدافها وتم الافراج عن بعض الاسرى فى سجون الاحتلال اما الثانية فلم تنجح وقتل شريكها فى العملية وتم اعتقالها لمدة شهر ثم تم الافراج عنها فى صفقة تبادل.

طبعا نشـاطها متوقف فهى من مواليد عام ألف وتسـعمائة وأربعة وأربعون ولكنها تتابع بالتفصيل مايجرى بعد الطوفان وكلها أمل وتفاؤل وإعجاب بكل من القائد محمد الضـــيف ومهندس عملية طوفان الاقصى البطل يحيى السنوار.

سـاءت الاحوال هنا فى رفح وبات لزاما علينا حفاظا على اطفالنا العودة إلى خان يونس لبعض الوقت ثم العودة للزيتون او الدرج وليكن مايكون .. جمعنا اغراضـــنا وبدانا طريق النزوح مرة اخرى لخان يونس وكان معنا اعداد كبيرة وقد لاحظت ان احدهم وكان مبتور الساقين ويجلس على كرسى متحرك تدفعه زوجته على الاغلب يطلب الحديث معى وكنا قد انضممنا فى المسير لمجموعتهم فقال لى : انه قدم إلى رفح

من ثلاثة ايام لاصـطحاب أهله لخان يونس وانه كان يتحين الفرصـة ليخبرنى باسـتشـهاد زوجى ووالد ابنتى وابن عمى وحبيبى .. مادت الارض تحت قدمى وكدت اسـقط لولا ان اجتمع الجميع وعرف الخبر وطلـب المجـاهـد ان يخبرنى برسـالة مازن لى فهو يوصـينى بابننا او ابنتنا فهو لم يعرف أننى انجبت بنتا .. وان اخبره بكل شـيئ وان اعلمه كيف يكون الجهاد والحفاظ على الاوطان وان ابيه واخواله كانوا من المجاهدين وان ابيه واحد اخواله اسـتشـهدوا ليعيش هو واترابه فى عزة وسـلام وامان.. الامر الثانى والذى جاء لى من مازن وكانه رسـالة لاسـتكمال طريق التحرير وان اتجه للجهاد بما اقدر عليه فقد قال : انا لا اخاف على فلسـطين فى وجود ابطالها ومعهم ترنيم الزيتون .. وبعد انتهاء الرسـالة سلمنى هاتفه الذى فوجئت بتسجيل إسمى فيه.

ترنيم الزيتون

وقد فاجانى رد فعلى وفاجا الجميع ايضـــا حيث كنت رابطة الجاش وكان مازن على يقين مما قد يحدث لى عند سماع خبر استشهاده فطلب من زميله ان يخبرنى انا بالخبر اولا ويبلغنى رســالته .. نحن الان فى خان يونس وقد مضـــى عام على بدء طوفان العزة وقد طلبت من ياسين ان انضم لصفوف المقاومة وان اقوم باى دور .. وانا الان فى انتظار الرد ومعى ســـلام التى ســاحكى لها عن ابيها البطل الشــهيد وعن خالها واخوالها واعمامها من المجاهدين وتيجان الرؤوس فى غزة الحبيبة .. ونحن مستمرون وسنواصل ولو استمر الطوفان عشر سنوات لا ســنة واحدة . ويكفينا قول الله تعالى فى ســورة التوبة : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى ســـبيـل الله فيقتلون ويقتلون وعـدا عليـه حقـا فى التوراة والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله فاســتبشــروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم . صدق الله العظيم .

□

هوامش مرتبطة باحداث الرواية

هل باع الفلسطينيون ارضهم لليهود

قامت الدعاية الصـهيونية من بدايتها فى القرن١٩ م على مقولة ارض بلا شـعب لشـعب بلا ارض معتبرين ان أرض فلسـطين لايسكنها احد فيمكنهم تملكها ..

وفى مرحلة البحث عن وطن لليهود يضـعهم فيه الاوروبيون خلاصـا من مشـاكلهم وفسـادهم فقد كانت فلسـطين من الدول المطروحة للاختيار فبعث مابكس نوردوا احد كبار قادة الحركة الصـهيونية المقربين من هرتزل باثنين من الحاخامات ليرفعا تقريرا عن امكانية اتخاذ فلسـطين وطن لليهود فعادا بعد السـفر والدراسة بتقرير كتبا فيه:

فلسـطين عروس جميلة وهى مسـتوفية لجميع الشـروط .. ولكنها متزوجة فعلا .

ومنذ البداية فهم الفلسـطينيون مايحاك ضـدهم فوقفوا بكل ما اوتوا من قوة امام بيع ارض فلسطين لليهود وقد شكلت هيئة لذلك لدراسـة كافة طلبات تملك الاراضـى ونقل ملكيتها ودققوا فى كل طلب حماية للارض.

وللاسف كل تملك الارض لليهود كان الفلسطينيون ابرياء فى اغلبه .. ولعبت الدولة العثمانية دورا كبيرا فى نقل ملكية الارض لليهود سواء عن طريق فساد موظفيها او للجوئها للبيع لتغطية احتياج خزينتها للمال ومع نهاية الدولة العثمانية فى عام ١٩٢٨ كان البهود قد حصلوا على ٤٢٠ الف دونم من ارض فلسطين .. وقد اشترى اليهود العديد من الاراضى من بعض العائلات اللبنانية والسورية بعد اتفاقية سايكس بيكو والتى حرموا بموجبها من دخول فلسطين فباعوا اراضيهم

وهم عائلات سرسق التى باعت ٢٠٠ الف دونم من فرج بن عامر وتسببت فى تشريد آلاف الاسر الفلسطينية التى عاشت عمرها تزرع هذه الارض ..كذلك عائلات آل سلام وآل تيان وآل قبانى والصباغ والتوينى والجزائرلى.

وكان مجمل ماباعت هذه العائلات من اراضى اكثر من نصف مجمل الاراضى التى حصل عليها اليهود من عام ١٩٢٠ الى ١٩٣٦م الجدير بالذكر هنا ان اول مندوب سامى للاحتلال البريطانى على فلسطين هو هربرت صموئيل : من ١٩٢٠ الى ١٩٢٥م وقد قام بموجب الحق الذى يكفله له الانتداب بمنح اليهود ١٧٥الف دونم من اخصب الاراضى على الساحل من يافا إلى قيسارية ..وقد كان إجمالى ما منحته حكومة بريطانيا لليهود من ارض فلسطين ٣٠٠ الف دونم دون مقابل بالاضافة الى ٢٠٠ الف دونم بأجر رمزى.

اما عن ماباعه عرب فلسطين من اراضيهم خلال الاحتلال البريطانى فكان ٢٦ الف دونم وذلك بسبب الظروف القاسية التى وضعتهم فيها حكومة الاحتلال واستخدامهم لاسلوب نزع الملكية وهو حق للممدوب السامى فى حالة العجز عن دفع الضرائب.

ومؤكد وجدت حالات بيع من بعض الفلسطينيين بسبب الاغراءات الكبيرة ولكنها كانت حالات منبوذة من مجمل ابناء الشعب الفلسطينى وتعرض كثير منهم للمقاطعة والتصفية : وكان مجمل ماحصل عليه اليهود من اراضى من فلسطينيين حتى عام ١٩٨٤ لايتجاوزذ ٪١من ارض فلسطين.

ولبيان موقف الفلسطينيين ممن يبيع ارضه اصدر المجلس الاسلامى بقيادة امين الحسينى وعلماء فلسطين فتوى تقول ان:

كل من باع ارضه لليهود تتضمن البائع والوسيط يعتبر من المارقين عن الدين وخارج من زمرة المسلمين ولايتم دفنه فى مقابرهم .

وقد اشترى المجلس اراضى قرى عديدة للحفاظ عليها وأنشى صندوق الامة الذى ساهم فى إنقاذ العديد من الاراضى وحمايتها..

بيد ان البيع لم يكن السبب الاقوى ولكنه كان هزيمة الحيوش العربية وإنشاء الكيان الصهيونى الذى قام بقوة السلاح بطرد ابناء فلسطين واغتصاب اراضيهم ، ولاحول ولاقوة الا بالله

خطايا بنى اسرائيل

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ صدق الله العظيم

حضر نبى الله يعقوب وابنائه إلى مصر وكان قد سبقهم يوسف بعد ان أخرجه السيارة من البئر حيث ألقاه اخوته وتم بيعه كعبد لكن الله عز وجل اراد له الرفعة وآتاه النبوة والحكم فاستدعاهم وأكرم مثواهم وعلا شأنهم من الجميع إكراما ليوسف الصديق.

كرم الله بنى إسرائيل فى العهد الاول وفضلهم على العالمين وجعل فيهم الانبياء والملوك ،، واخذ عليهم العهد بالتمسك بالدين والإيمان بمن ياتى من الأنبياء مصدقا لما معهم .. وقد ادام الله لهم العزة والرفعة عند تمسكهم والتزامهم بالعهد ومكن لهم ايام يوسف وموسى ويوشع بن نون وداوود وسليمان علبهم السلام ..لكن القوم الذين يغلب عليهم طبع السوء أضاعوا كل هذا بخطاياهم التى ارتكبوها وأصروا عليها رغم غفران الله لهم وإعطاؤهم الفرص للتوبة.

الخطيئة الأولى

تشـوهت نفوسـهم بعد أن ملأهم الغرور والصـلف وبدأوا فى البعد عن تعاليم ربهم وأنبيائهم وقاموا بالسرقة والربا ونشر الفساد بجميع صـوره ومضـت قرون وهم فى مصـر يكيدون لأهلها حتى كرههم الجميع وحين بعدت المدة عن زمن يوسـف وجاء من لايكرمهم لاجله .. بدأ فرعون فى اضـطهادهم حين رأى سـوء طباعهم وفسـادهم وتكبرهم وأذى ينشـرونه اينما وجدوا فعاشـوا منبوذين جراء سـوء اعمالهم فى حى خاص بهم فى العبودية و الفقر وسـوء الحال حتى أمر الله سـيدنا موسـى عليه السـلام بأن يذهب لفرعون ويطلب منه ان يخرجهم معه ، لكن فرعون رفض فهم حلف من عدة احلاف حوله ويخشـى من انفراط العقد ،، بالإضـافة لكراهيته الشـديدة لهم فكان فى اضـطهاده لهم يحاول ان يمحو ذريتهم من الوجود لينهى وجودهم المؤذى ،،

حتى جاء الامر من الله لنبيه ان يخرج بقومه فماذا فعل القوم حين تقرر خروجهم! ؟ كان لديهم بعض من ذهب المصـريين يرهنونه لديهم ضـمن اعمال الربا وآخر كان يعمل صـناعهم على اصـلاحه فهو بصـفة الامانة لديهم ، وبالإضـافة لذلك فقد قامت نساؤهم ليضا باقتراض ذهب بعض المصريات على ان تقمن برده ..وبرروا سـرقتهم بأن الذهب من حقهم مقابل العبودية والمذلة التى عاشوها فى مصر ، فكانت هذه خطيئتهم الأولى.

الخطيئة الثانية

بداوا رحلة الهروب سرا ولكن الخبر وصل لفرعون فتتبعهم بجيشه لكن الله نجاهم منه حين انشق البحر لهم مع موسى فعبروا وأغرق فرعون وجنوده ،، حين وصلوا سيناء طلبوا من موسى طعاما وشرابا فارسل الله لهم المن والسلوى وعيون الماء وكانوا قوما لايرضيهم شيئا ويعيشون حالة رفض وتمرد دائمة.

وحين صعد موسى الجبل وترك القوم فى عهدة أخيه هارون والذى لم يستطع السيطرة على تصرفاتهم الخرقاء فأخذ جانبا مع من تبعوه بعيدا عنهم ونجاة بانفسهم ،، وكان القوم قد تأثروا بالبقرة حتحور المقدسة لدى المصريين فأرادوا ان يكون لهم إله مثلها وتزعمهم السامرى فى هذا وكان عمله هو صناعة التماثيل فأخبرهم ان بإمكانه عمل التمثال بصهر الذهب فوافقوا وأخذوا فى تجميع الذهب ووضعه فى حفرة وصهره وكان السامرى قد اخذ قبضة من اثر جبريل فى الماء حين انشق البحر فوضعها مع الذهب الذى اصبح عجلا له خوار فقاموا بعبادته وعلم موسى من ربه ما كان من امرهم فنزل من الجبل غاضبا يلوم اخيه ثم تفهم عجزه عن مقاومتهم فطرد السامرى قائلا له : اذهب فلا مساس وحكم الله علي من تزعموا الامر بقتل انفسهم وكانت هذه خطيئتهم الثانية.

الخطيئة الثالثة

وكانوا قد طلبوا من موســـى ان يروا الله فهم لايؤمنون بإله لايروه فاختار ســبعين منهم ليصــعدوا معه الجبل لكن الله انزل عليهم الصـــاعقة فماتوا ثم اعادهم للحياة ليكون فى الامر لهم ولبــاقى القوم العبرة وليتعظوا فــإن الله لايزال يمهلهم ويمنحهم فرص التوبة والنجاة ..

ثم أمرهم موسى ان يستعدوا للدخول للارض المقدسة كما امره الله ولكنهم رفضـوا حتى يكونوا على علم بحال القائمين عليها هل فيهم قوة او ضـعف .. فاختار اثنى عشـر رجلا وكلفهم ان يذهبوا كجواسـيس لجمع الاخبار فلما دخلوا وجدوا قوما جبارين تخشــى مواجهتهم ،، وفى الطريق تشــاوروا فيما بينهم هل يخبرون القوم بالحقيقة ام لا ؟ اتفق عشرة منهم على إخبارهم بالحقيقة بينما رأى اثنان ان ذلك من شــأنه أن يجعلهم يتقاعســون عن القتال وهذان الاثنان هم يوشع بن نون فتى موسى وكالب بن يوفنا .. وقد تحقق ماتوقعا وحين علم القوم بالامر جبنوا ورفضوا وقالوا لموسى :

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ صدق الله العظيم.

فكان عقابهم من الله التيه اربعين ســـنة والحرمان من دخول الارض المقدسة وكانت هذه خطيئتهم الثالثة.

الخطيئة الرابعة

فى التيه توفى الله أنبيائه موســى وهارون وكان موســى قد اوصــى بامر من الله بالنبوة والقيادة لفتاه يوشـع بن نون .. وكان جيل التيه قد فنى ونشا جيل جديد على طاعة الله وأنبيائهم فاخبرهم يوشع ان الله سمح لهم بدخول الارض المقدسة والحق فى خيراتها بشرط اتباع اوامر الله ورسله وان مخالفتهم لذلك تحرمهم من وعد الله.

ولتنفيذ امر الله بالفتح ولعلم يوشــع بطبيعة القوم لم يجعل المشــاركة فى الفتح عامة ولكنه اختار من يرافقونه وقام بتجهيز الجيش فوصل اريحا وهى المعبر للارض المقدسة وفتحها ثم فتح ثلاثين مدينة وكان هذا الفتح يوم جمعة فخشــى يوشــع ان ينتهى اليوم ولايتحقق النصـر وغدا هو يوم السبت لاعمل ولاقتال فنظر للشـمس قائلا : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسـها فحبسـت (وقد قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : إن الشـمس لم تحبس لبشـر إلا يوشـع بن نون ليالى سـار إلى بيت المقدس) ، ثم عاد بعد ذلك إلى قومه يطلب منهم دخول الارض المقدسـة تنفيذا لامر الله) :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ صدق الله العظيم.

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ صدق الله العظيم.

فقد امرهم الله ان يدخلوا القرية سجدا وان يقولوا حطة اى حط عنا يا الله خطايانا السابقة اى يطلبون التوبة إلى الله ،، لكنهم خالفوا أمر الله قولا وفعلا وذلك حين لم يدخلوا سجدا ولكن دخلوا جلوسا على ادبارهم وبدلا من ان يقولوا حطة قالوا حبة فى شعرة.

فكان عقابهم إرسال الرجز عليهم وهو الطاعون وكانت هذه خطيئتهم الرابعة.

الخطيئة الخامسة

استقرت لهم الامور بعد ذلك تحت قيادة يوشع بن نون الذى حكم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه عن عمر مائة وسبع وعشرين وكان موسى قد توفى ويوشع ابن مائة عام.

طلب اليهود بعده من نبيهم صموئيل ان يختار لهم ملكا كباقى الامم يحاربون معه فاختار لهم طالوت أو شاؤول بامر من الله لكنهم كعادتهم رفضوا امر الله بحجة أنه ليس من نسل الملوك كما انهم احق منه لأنهم الاغنى مالا ،، فأعطاهم الله فرصة اخرى وارسل لهم آية ملكه ان ياتيهم التابوت الذى سلب منهم تحمله الملائكة بين السماء والارض وتضعه بين يدى طالوت الذى انعم الله عليه ببسطة فى العلم والجسم وهو من سبط بنيامين بن يعقوب.

وعند خروجه بالجيش اراد طالوت اختبار القوم بعدم الشرب من نهر الشريعة بين الاردن وفلسطين إلا من اغترف غرفة واحدة فخالف اكثر من ستين الفا وعادوا وبقى معه اربعة آلاف فقط جاوز بهم نهر الاردن.

ثم وقف الجيشـــان متواجهان فى ارض المعركة .. فطلب جالوت من طالوت ان ينازل احدا من جيشــه مقابل إعطاؤه ملكه حال انتصــر عليه ،، فنادى طالوت فى جيشــه أن الذى سـيقتل جالوت سيزوجه ابنته وسيجعله فى غنى .. وهنا كانت المفاجأة.

حيث تقدم داود راعى الغنم الذى ارسله ابوه مع جيش طالوت ليخبره بنبا اخوته الثلاثة الجنود فى الجيش ولم تكن له اى خبرة فى القتال والحرب ،، تقدم بعصــاه وخمس أحجار من الماس فى جعبته ومعه مقلاعه ،، وجالوت ينظر إليه باسـتخفاف وينتظر ،، ففاجأه داوود بان رماه بحجر اصــاب جبهته فارداه صــريعا. ثم تقدم واخذ سيفه وجز رأسـه به وهنا طلب طالوت من قومه ان يدخلوا الارض المقدسة جهادا وقتالا ولكنهم فضلوا الدخول تسللا لجبنهم وخبث طبعهم البعيد عن اى شجاعة او رغبة فى الجهاد.

ثم تجمعوا فى مكان واحد والذى سمى بالحى اليهودى واقيمت مملكتهم وكان ذلك قبل مواجهة داوود وجالوت.

تزوج بعدها داوود من ميكال ابنة طالوت وداوود هو نبى الله صائم الدهر الذى تسبح معه مخلوقات الله ويفهم لغة الطيور.

عاش القوم حياة هادئة ولكن ما لبثت الخلافات ان بدات تستعر بينهم فهم قوم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ولايستطيعون الحياة فى هدوء وسلام .. وكانوا ممنوعين من الصيد فى يوم السبت فتحايلوا بوضع الشبك من يوم الجمعة وجمعه يوم الاحد ولم يستمعوا لعلمائهم حين نصحوهم بعدم مخالفة امر الله وسرعة إيقاف هذا الامر ،، فرفضوا نصائحهم المتكررة بذلك وأصروا على عصيان أمر الله ،، فكان عقابه ان مسخهم قردة خاسئين.

﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ صدق الله العظيم

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ صدق الله العظيم.

والقردة الخاسئين تعنى الصاغرين الأذلة وهم موجودين للآن ولهم نسل لان القردة والخنازير من مخلوقات الله التى كانت موجودة قبل المسخ ..وكانت هذه خطيئتهم الخامسة.

الخطيئة السادسة

تعددت خطاياهم بين تعدى على الله جل وعلا وعلى صـفاته بان اتهموه بالفقر (وقالوا الله فقير ونحن اغنياء) وتعاملوا معه جل شانه و كانه بشرى مثلهم يضعف ويهزم كما أنهم لم ينزهوه سبحانه وان يقروا له بالوحدانية بل جعلوا له ولدا بان قالوا عزير ابن الله.

ورفضهم لعيسى المسيح عليه السلام وقذفهم لامه سيدة نساء العالمين مريم العذراء فى قوله تعالى :

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ صدق الله العظيم

فكـان جزاؤهم ان نزعـت منهم القيـادة الـدينيـة وحكم عليهم بالشتات فى الارض وان تلفظهم كل ارض ينزلونها واصبحوا امة ملعونة محكومة بالشـتات لاتقبل بالحياة مع باقى البشـر ولكن يعيشون فى الجيتو الخاص بهم دون باقى الناس ما جعل الجميع ينفرون منهم لسـوء طباعهم وهمجيتهم وكراهيتهم لكل ماهو خير وحق آثرنا المرور سريعا على هذا الموضوع بإشارة بسيطة عن بعض خطايا بنى اسـرائيل والتى اسـتوجبت منهم التطهر من النجس وعلى من يريد الاستزادة الرجوع للمراجع المرفقة.

مواقع أثرية تم قصفها من قبل الاحتلال بعد الطوفان

دمر الاحتلال الاسرائيلى اكثر من مائتى معلم اثرى وتاريخى من اصل ثلاثمائة وخمس وعشرون معلم من مساجد وكنائس ومكتبات وأسواق ومبانى تاريخية كانوا شهودا على العمق التاريخى والاثرى لمدينة غزة ومخزونها الحضارى الذى يمتد لقرون .. فقد أنشئت المدينة فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد على يد الكنعانيين والذين اطلقوا عليها غزة هاشم نسبة لعمرو بن عبد مناف جد الرسول صلى الله عليه وسلم والذى كانت تجارته بين مكة وغزة .. وحين جاء القحط كان يقوم فى غزة قبل سفره لمكة لتهشيم الثريد لقومه فتحول اسمه من عمرو إلى هاشم.

وقد قام الاحتلال بقصف معالم غزة الاثرية مخالفا بذلك كل المعاهدات والمواثيق الدولية المرتبطة بالحفاظ على التراث الانسانى واتفاقية لاهاى لسنة١٩٥٤ م التى تحرم استهداف المواقع الاثرية والتاريخية ولكن سارقى الاوطان لايتوقع منهم ان يلتزموا باى عهود .

اهم المواقع التى تم قصفها:

الجامع العمرى الكبير

وهو اكبر مساجد غزة وفلسطين كلها يقع بحى الدرج بالبلدة القديمة ويعود تاريخه للقرن١٢ م بنى على مساحة٤٥٠٠ م ولذلك سمى الكبير والعمرى نسبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ،، وقد بنى بالحجر الرملى وغطته قباب واقواس دائرية يحمل سقفه ٣٨عمود من الرخام وقد بنى على الطراز البازلكى وله مئذنة شامخة بنيت على الطراز المملوكى من اربع مستويات وله خمسة ابواب تفتح على شوارع وازقة عتيقة .. كما ان له فناء كبير تبلغ مساحته١١٩٠ م وقد كانت تقام به الصلوات والدروس الدينية وقد تم قصفه بعد بدء عملية السيوف الحديدية الانتقامية ردا على طوفان الاقصى.

كنيسة القديس برفريوس للروم الارثوذكس

بحى الزيتون وهى من اقدم الكنائس فى غزة بنيت عام٤٢٥ م فوق مدفن القديس برفريوس الءى قام بنشر الديانة المسيحية فى غزة ولكنه غير موجود بالقبر الآن.

فقد تم نقل رفاته إلى مسقط راسه بمدينة سالونيك باليونان .. مساحة الكنيسة٢١٨ م بحجارة يبلغ سمكها١`٨ م وتتكون من جزئين خما رواق للمصلين يسع ل ٥٠٠ مصلى والجزء الثانى الهيكل لاداء الصلوات والطقوس الدينية .. بنيت على الطراز البيزنطى وزينت بنقوش ورسوم وصور لشخصيات ممن كانت لهم مكانة فى التاريخ المسيحى مثل القديسة هيلانة. وقد تعرضت الكنيسة للقصف من طائرات الاحتلال فى التاسع عشر من اكتوبر/ تشرين الاول .٢٠٢٣/ ما اصاب قاعاتها باضرار جسيمة ..الجدير بالاذكر ان برج الكنيسة يلتحم بمئذنة مسجد كاتب الولاية ما يعكس عمق العلاقات ورقيها بين المسلمين والمسيحيين والود بينهم.

حمام السمرا

يقع فى حى الزيتون وهو ثانى المعالم بعد المسجد العمرى وهو الوحيد المتبقى من الحمامات التاريخية والذى تم انشاؤه فى العصر المملوكى ورمم فى العصر العثمانى وكان يعتبر من اهم المزارات الطبية والسياحية وتتميز ارضيته بدفئها على مدار اليوم ينخفض مدخله عن الشارع ويؤدى الى القاعة الرئيسية التى تتوسطها نافورة من الرخام ثمانية الشكل ويغطيها الزجاج المعشق الملون وتتصل قاعات الحمام بممرات تؤدى للحجرة الاولى لتغيير الملابس ثم الحجرة الدافئة ثم الحجرة الساخنة ثم تمتهى بسلم يصعد لسطح الحمام .. وقد تعرض لقصف صاروخى دمره بشكل شبه كامل.

بيت السقا الاثرى

يقع بحى الشـــجاعية بالبلدة القديمة وقد بنى فى العام١٦٦١ م على مساحة٧٠٠ م وقد بناه السيد احمد السقا احد أكبر التجار .. والبيت له باب طوله متران يفتح على ساحة مكشوفة ارضيتها من الرخام وبها مضيفة وبعض الغرف .. والبيت له سلم ينقسم لشقين كل منهما يؤدى إلى بعض الغرف للنوم والمعيشـــة .. ويزينه اقواس حجرية ويتميز بقبابه المقوســـة التى تتدلى منها الثريات الاثرية وقد كان البيت يعتبر ملتقى التجار فى الحى . وقد قصـفه الكيران الحربى الاسرائيلى فى نوفمبر/ تشرين الثانى.٢٠٢٣/

مسجد السيد هاشم

بحى الدرج بنى على الطراز المملوكى على مساحة٢٤٠ م وقد جدد فى العام١٨٥٠ م وجدد فى العام١٩٣٠ م .. وهو يتكون من باحة مكشـوفة يحيط بها ثلاث ايوانات وايوان رابع رئيســى هو ايوان القبلة وبه المحراب وقدد منبر المسجد فى العام١٨٥٠ م وبه قبر السيد هاشم بن عبد مناف وقد تم تدميره جراء القصف بشكل جزئى.

مسجد الظفر دمرى الاثرى : يعود بناؤه للعصر المملوكى وقد بنى عام٧٦٢ هجرى وتبلغ مسـاحته١٦٠٠ م وقد دمر كليا جراء القصف.

باب حطة

وهو احد ابواب المسجد الاقصى يفتح على السور الشمالى بين بابى الاسباط وفيصل وهو على ضخامته بسيط البناء تعلوه مجموعة من العلاقات الحجرية كانت تستخدم فى تعليق القناديل للإضاءة .. وهو يقابل باب محراب مريم ومن المحتمل ان يكون هو الباب الذى دخل منه اليهود الى بيت المقدس وهو باب ضخم بارتفاع ١١ م وعرض٥`٥ م بنى من حجارة ضخمة اما سقفه فغطى بحجر واحد ضخم وقد كان الباب مغطى بالردم والتراب واكتشفه المستكشف الامريكى بركلى فى العام١٨٥٢ م ووثقه وسمى على اسمه .. الباب مستهدف دائما بالإغلاق من جيش الاحتلال وكان وجوده يخيفهم وقد ذكرته هنا لعلاقته بموضوع خطايا بنى اسرائيل.

ولن نسترسل فى هذا الموضوع ولننتظر بعد انقضاء القتال ماذا سيتبقى من تراث غزة .

تمت

سهير قنصوة

القاهرة

المراجع

القرآن الكريم

* التوراة : العهد القديم

* المشناة

*ابن كثير : البداية والنهاية

*مصطفى محمود : إسرائيل البداية والنهاية

* د.عبد الوهاب المسيرى: من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية

* تاريخ الفكر الصهيونى

*موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية

*الصهيونية والحضارة الغربية

* بروتوكولات آل صهيون

*مراد كامل : الكتب التاريخية فى العهد القديم

*قاسم شواف : فلسطين التاريخ القديم الحقيقى

*هشام ابو حاكمة : تاريخ فلسطين قبل الميلاد

*شكرى عراف : المواقع الجغرافية فى فلسطين

*جمعة أحمد : غزة خمسة آلاف عام حضور وحضارة

*سرحان نمر : موسوعة الفولكلور الفلسطينى

*عبد القادر ياسبن : الحركة النسائية الفلسطينية

*هند أمين بربرى : أراضى فلسطين بين مزاعم

الصهيونية وحقائق التاريخ

*احمد حجازى السقا : هيكل سليمان عند المسلمين واهل الكتاب

*دعاء الشريف : التوراة تثبت ان فلسطين ارض عربية

*روجيه جارودى : الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية

*مصطفى عطية جمعة : هيكل سليمان

*عادل عبد السميع : الاسلام واليهودية

*عاطف عبد الغنى : أساطير التوراة

*محمد خليفة حسن : البعد الدينى للصراع العربى الاسرائيلى

*احمد محمود كريمة : القدس والمسجد الاقصى

*عايد محمد جودة : الأعراس الفلسطينية

*حسين على لوبانى : معجم الاعراس الشعبية الفلسطينية

معجم الأطعمة الفلسطينية

*نضال فخرى : المعتقدات الشعبية فى فلسطين

*إبراهيم جوهر يوميات مقدسية

*نصر الله زكريا : المجيئ الثانى للمسيح

*احمد مسلمانى : ما بعد اسرائيل

*عمر مصالحة : اليهودية ديانة ام شعب مختار

*محمد برهام المشاعلى : اسرائيل من أين وإلى أين

*عاطف عبد الغنى : أساطير التوراة

خريطة فلسطين فى اواخر القرن التاسع عشر

PALESTINE CURRENCY BOARD
CURRENCY NOTES ARE LEGAL TENDER FOR THE PAYMENT OF ANY AMOUNT
Y637758
ONE PALESTINE POUND
JERUSALEM.
20th April, 1939.
Y637758

معهد الهيكل بالبلدة القديمة بالقدس

خريطة موقع المعهد

إسرائيل
فترة من التاريخ
وليست
قطعة من الجغرافيا

EGYPT
غزة
GAZA
دير البلح
DEIR EL BALAH
خان يونس
KHAN YUNIS
رفح
RAFAH

فلسطين
PALESTINE
الجمهورية اللبنانية
صفد
Safad
عكا
Akka
طبريا
Tiberias
حيفا
Haifa
الناصرة
Nazareth
بيسان
Baysan
جنين
Jenin
البحر الأبيض المتوسط
The Mediterranean Sea
طولكرم
Tulkarm
نابلس
Nablus
نهر الأردن
The Jordan river
يافا
Jaffa
رام الله
Ramallah
الرملة
Al-Ramla
القدس
Jerusalem
غزة
Gaza
الخليل
Al-Khaleel
البحر الميت
The Dead Sea
المملكة الأردنية الهاشمية
The Hashemite Kingdom of Jordan
بئر السبع
Beersheba

ميناء غزة
الشيخ رضوان
النصر
التفاح
مخيم
الرمال الشمالية
الدرج
مدينة غزة
المدينة القديمة
الصبرة
الرمال الجنوبية
تل الهوا
الشيخ عجلين
الزيتون

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى
Abu Ali Mustafa Brigades

السياج الحديدى بين غزة والارض المحتلة المعروفة بغلاف غزة .. يظهر به الفتحة للتى احدثتها المقاومة وعبرت منها

احدى مركبات سلاح الجو التى استخدمتها المقاومة

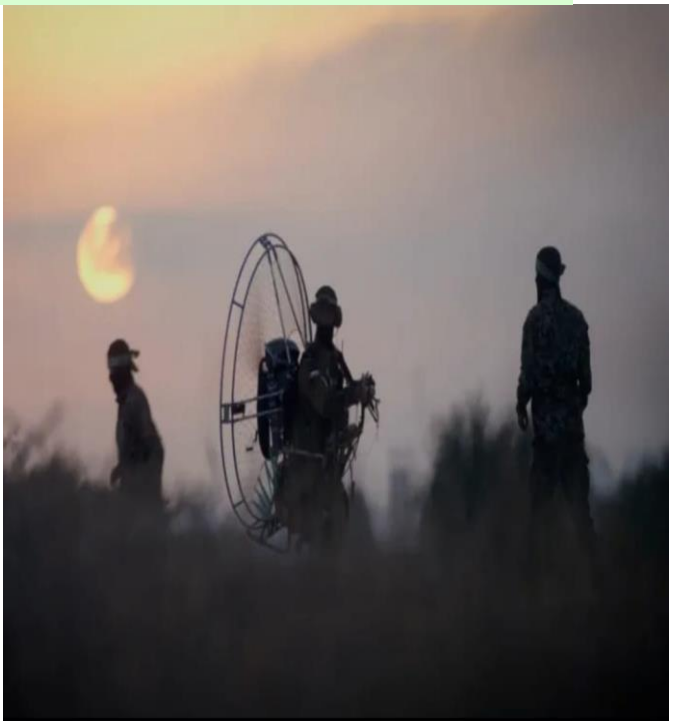

اللحظات الأولى للهجوم البحرى للطوفان من غزة لعسقلان

سرب صقر .. سلاح الجو للمقاومة فى الطوفان

مسجد صلاح الدين الايوبى بحى الزيتون

مئذنة المسجد العمرى الكبير بعد القصف

القصف الذى تعرض له جامع صلاح الدين بحى الزيتون

معهد الهيكل بالبلدة القديمة بالقدس

كنيسةةالقديس برفريوس بحى الزيتون بعد القصف

خريطة موقع المعهد

السياج الحديدى بين غزة والارض المحتلة المعروفة بغلاف غزة .. يظهر به الفتحة للتى احدثتها المقاومة وعبرت منها

القاعة الرئيسية لحمام السمرا بحى الزيتون تتوسطها النافورة المثمنة التى يغطيها الزجاج المعشق الملون

قصر السقا بسلمه المزدوج باتجاهين يؤدى لغرف المعيشة والنوم

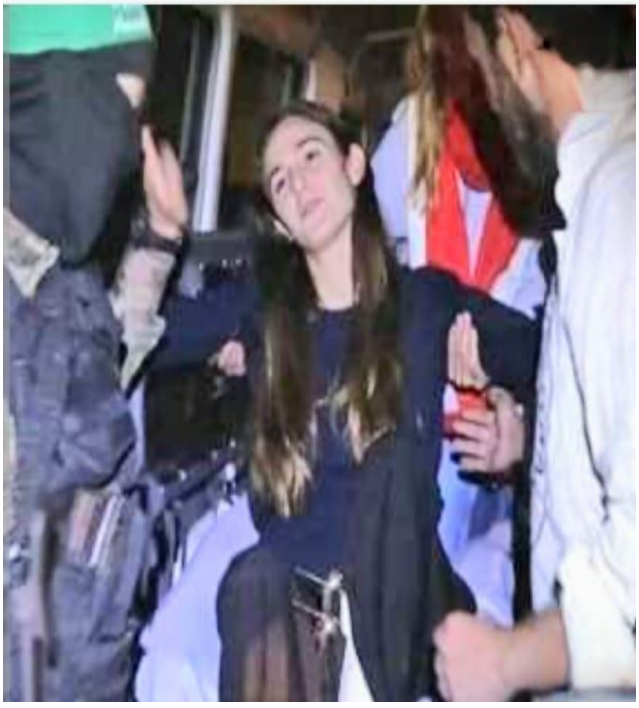

القصف الذى أصاب مدرسة الفلاح بحى الزيتون

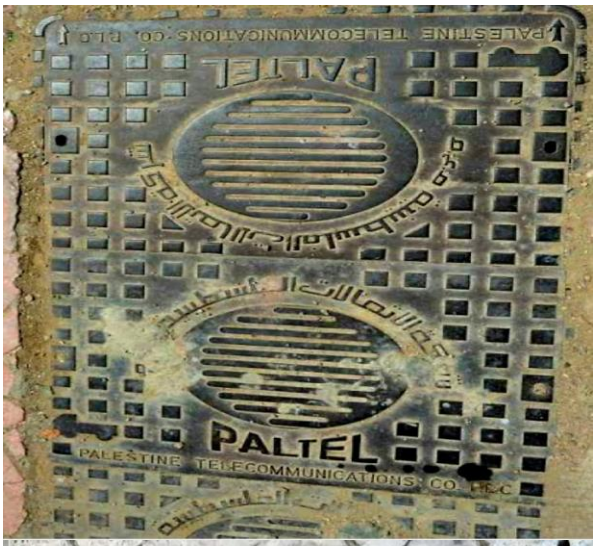
PALTEL
PALESTINE TELECOMMUNICATIONS CO. P.L.C.

GOVERNMENT
OF
PALESTINE
P.W.D.
HAIFA DIST.

JAFFA MUNICIPALITY
COMPANY LIMITED
THE PALESTINE FOUNDERY

פלשתינה (א"י)
PALESTINE
1941
١٩٤١

بلدية
الخليل
KURDIEH BRO.
EN-124

JAFFA MUNICIPALITY
COMPANY LIMITED
THE PALESTINE FOUNDERY

فلسطين
PALESTINE
פלשתינה (א"י)
1939
١٩٣٩

PALESTINE
1942
פלשתינה (א"י)
١٩٤٢
فلسطين

فلسطين
PALESTINE
פלשתינה (א"י)
1927
١٩٢٧

PALESTINE
1942
פלשתינה (א"י)
١٩٤٢
فلسطين

PALESTINE
1940
פלשתינה (א"י)
فلسطين

PALESTINE
1934
פלשתינה (א"י)
١٩٣٤
فلسطين

PALESTINE
1944
١٩٤٤

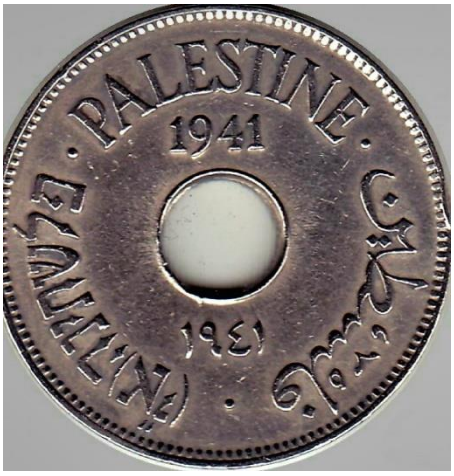
PALESTINE
1941
١٩٤١

PALESTINE
1927

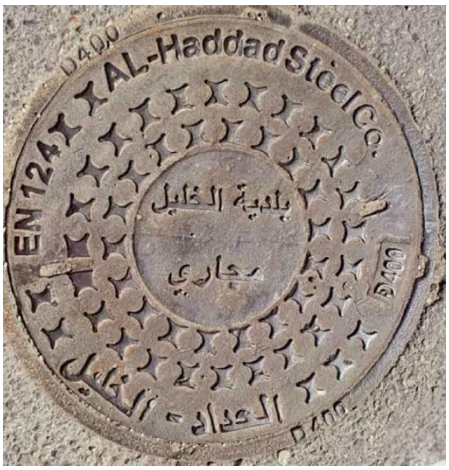
AL-Haddad Siodlco.
EN 124
بلدية الخليل
مجاري

PALESTINE
1935
فلسطين
א"ישראל ארץ
١٩٣٥

فلسطين
PALESTINE
1947
١٩٤٧

فلسطين
PALESTINE
פלשתינה (א"י)
1946
١٩٤٦

فلسطين
PALESTINE
פלשתינה א"י
1927
١٩٢٧

PALESTINE
1933
١٩٣٣

PALESTINE
1934
١٩٣٤

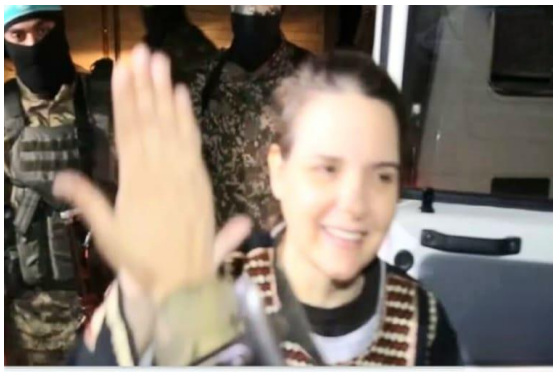

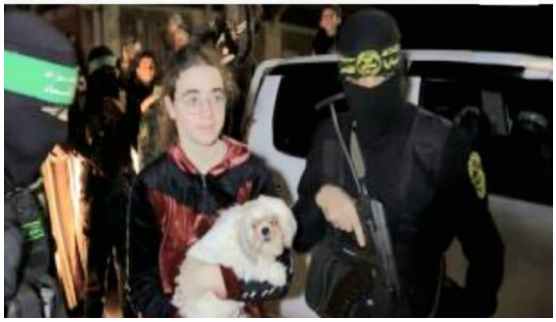

الإعلام العسكري

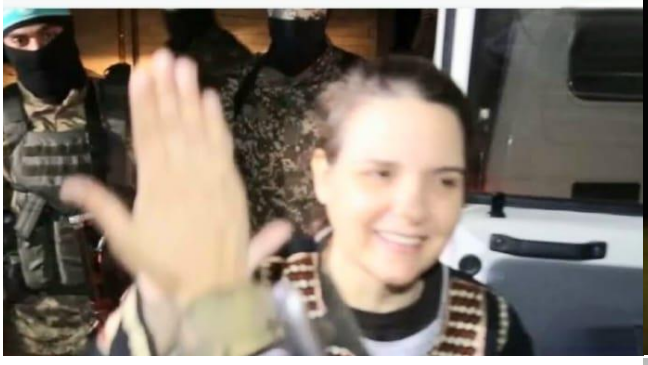

الإعلام العسكري

REMISSION GATE